

مع تراثنا الإسلامي في مقارنة الأديان

مع الجاحظ

في رسالة

« الرد على النصاري »

د. إبراهيم عوض

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ محمد فريد - القاهرة

١- رسالة الرد على النصارى

من بين رسائل الجاحظ رسالة عنوانها « الرد على النصارى » ، وقد نُشرت حتى الآن أربع نشرات على الأقل : النشرة التى طُبعت على هامش كتاب « الكامل » للمبرد ، ونشرة المستشرق يوشع فنكل ، ونشرة الأستاذ عبد السلام هارون (وكانت كل من هذه النشرات الثلاث تضم مع الرسالة المذكورة غيرها من رسائل الجاحظ) ، ثم نشرة د. محمد عبد الله الشرقاوى (وقد طُبعت الرسالة فى هذه النشرة مستقلة) . وسوف يكون رجوعى فى هذا البحث إلى نشرة الأستاذ هارون ، وهى فى ثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط بملاحظات التحقيق .

وهذه الرسالة عبارة عن فصول متتطفة من كتاب للجاحظ فى الرد على النصارى قام باختيارها (واختيار أمثالها من كتب أخرى لأديب العربية وفيلسوفها العظيم) أديب غير مشهور اسمه عبيد الله ابن حسان (١) . ويذكر القاضى عبد الجبار أن للجاحظ رسالتين فى الرد على النصارى ، وهما « الرسالة العسلىة » و « المختار فى الرد على النصارى » (٢) . فهل هما كتابان مختلفان ؟ أم حل الرسالة الثانية هى مجرد مختارات من الأولى ؟ لا نستطيع أن نجيب على

ذلك ، فإن « الرسالة العسليّة » مازالت مفقودة حتى الآن فيما نعرف (٣) .

وفى الرسالة التى ندرسها فى هذه الصفحات يذكر الجاحظ بعضًا من شبه النصارى التى كتب له بها بعض الغيارى على الدين ممن أرادوا منه الردة عليها ، ثم يقفَى على ذلك بنقضها . وأهم ما جاء فى هذه الشبهات أن القرآن الكريم يذكر تأليه النصارى لمريم عليها السلام مع أنهم ينكرون اتخاذها إلهًا على أى نحو من الأنحاء ، وأنه قد ورد فيه أيضا أن اليهود كانوا يقولون بينوة عَزِيزٌ لله سبحانه وتعالى ، وهم أيضا ينفون هذا ويجحدونه . ومن ذلك أن هامان قد ذُكر فى القرآن الكريم على أنه من حاشية فرعون ، مع أن المعروف أنه كان فى زمن الفرس بعد فرعون بدهر طويل . كما جاء فى القرآن عن يحيى بن زكريا عليهما السلام قوله سبحانه وتعالى : « لم نجعل له من قبلُ سميا » ، رغم أنه كان هناك قبله من اسمه يحيى . كذلك يعترض النصارى على ما ذكره القرآن الكريم من أن عيسى قد تكلم فى المهدي (٤) . ويبتدىء الجاحظ ، قبل الدخول إلى نقض هذه الشبهات ، بمناقشة الأسباب والظروف التى جعلت رأى عامة المسلمين فى النصارى طيبا على عكس نظرهم لليهود والمجوس ، ثم يثنى ببيان الغلط فى

هذا الموقف ، موضحا أن قوله تعالى : « وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ
آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا : إنا نصارى ... » (٥) لا يعنى النصارى بوجه عام
بل فريقا منهم مخصوصا كبحيرا والرهبان الذين اتصل بهم سلمان
الفارسى قبل أن ينتهى به المطاف إلى يثرب حيث التقى بالنبى عليه
السلام وأمن به (٦) .

وقد أبدى ابن قتيبة سخطه على صنيع الجاحظ فى رسالته هذه
فقال إنه قد عمل « كتابا يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين ،
فإذا صار إلى الرد عليهم تجوز فى الحجة ، كأنه إنما أراد تنبيههم
على ما لا يعرفون وتشكيك الضعفة من المسلمين » (٧) .

ولا يقتصر رأى ابن قتيبة السئ على هذا الكتاب وحده بل
يشمل الجاحظ وأعماله كلها تقريبا ، إذ قال إنه « من أكذب الأمة
وأوضعهم لحديث وأنصرهم لباطل » ، وأنه يقصد إلى الإضحاك والعبث
استمالة للأحداث وشرب النبيذ ، ويستهزئ بالحديث . كما يأخذ عليه
تأليفه الكتب فى نصره الشئ ، ونقيضه معًا ، ويرى فى ذلك دليلاً على
انتفاء الإحساس بالمسؤولية لديه (٨) .

على أن ملاحظة ابن قتيبة حول ردود الجاحظ على شبهات
النصارى إن صدقت على بعض هذه الردود (إذ إن بعضها موجز فعلاً

ويفتقر إلى ما عُرِفَتْ به كتابات الجاحظ من التوسُّع وتقليب الأمر على وجوهه المختلفة وتفنيده بالأدلة الساطعة والحجج القوية البارعة) (٩) فإنها لا تدل على ما اتهم به الكاتب السنِّي نظيره المعتزلي من أن الأمر يبدو وكأنه قد أراد تنبيه النصارى على ما لا يعرفون وتشكيك الضعفة من المسلمين . كيف ذلك ولأبى عثمان كثير من الأعمال التي ينافح فيها عن دين الله ، ككتاب « الرد على اليهود » وكتاب « الرد على من ألحد فى كتاب الله عز وجل » وكتاب « نظم القرآن » وكتاب « آى القرآن » وكتاب « دلائل النبوة » مثلاً ؟

وقد ذكر المرزبانى أن له كتباً كثيرة مشهورة جليلة فى نصره الدين ، وإن سارع فقال إنه « ليس فى تلقيح العقول وشحذ الأذهان ومعرفة أصول الكلام وجواهره وإيصال خلاف الإسلام ومذاهب الاعتزال إلى القلب كتب تشبهها » (١٠) . ثم إن فى رسالة « الرد على النصارى » نفسها أشياء جدّ قوية فى تسخيف اعتراضات النصارى وإبراز تفاهة مزاعمهم . ومن يدرى ؟ فلعله لو وصلتنا « الرسالة العسلية » لوجدنا فيها حججاً أخرى وتفصيلاً أكثر فى الرد على هؤلاء القوم .

ومن الأشياء المهمة التى تُذكر له ، رحمه الله ، أنه كان من

أوائل من نبهوا إلى أن القرآن حينما قال : « ولتجدنَّ أقربهم مودةً
للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى » لم يقصد جميع النصارى بل
طائفة منهم فقط أبدت المودة تجاه الإسلام ونبيه . وسوف نناقش هذه
النقطة فيما بعد ، ونبين وجه الخطورة فى الظن بأن القرآن يشى على
النصارى رغم تثليثهم وتألبيهم لعيسى عليه السلام وقولهم بتجسد الله
تعالى ونزوله إلى الأرض وموته صلِّبا وكفرهم بمحمد صلى الله عليه
وسلم وتكذيبهم للقرآن الكريم .

أما دفاع الجاحظ عن الشىء ، ونقيضه فهو لون من الترف
الفكرى والحساسية العقلية التى ترى الجوانب المختلفة للأمور . وطبيعة
الحياة أنه ما من شىء ، إلاَّ ويمكن النظر إليه من زوايا متعدّدة .
وقلما يوجد شىء ، كله خير فلا شرَّ فيه ، أو كله شر فلا خير فيه .
والقرآن الكريم نفسه يقول عن الخمر ، التى وصفها بأنها « رجس من
عمل الشيطان » (١١) ، إن فيها مع ذلك منافع للناس (١٢) . وهو
رغم حملته على أهل الكتاب من يهود ونصارى يعود فيستثنى منهم
فريقًا صالحًا ليس فيه عيوب سائر قومه . كذلك تكررت فيه الحملة
على كنود الإنسان وكفره وظلمه ورعونته ، ومع هذا فقد ذكر أن الله
كرّم الجنس البشرى وفضّله على كثير ممن خلقهم تفضيلا . وعلى أية

حال ، فهذه أسماء عدد من الكتب التي يمدح فيها الجاحظ الشيء ، ويذمه : « كتاب العثمانية » وكتاب « الرد على العثمانية » ، وكتاب « إمامة معاوية » وكتاب « إمامة بنى العباس » ، ورسالته « فى مدح النبيذ » ورسالته « فى ذم النبيذ » ، ورسالته « فى مدح الوزاق » ورسالته « فى ذم الوزاق » (١٣) .

إن فى الجاحظ بل وفى المعتزلة جميعا جسارة عقلية ، وهذا ما لا يرتاح إليه كثيرًا ابن قتيبة السنّى المحافظ . ولا ننس أنه كان بين أهل السنة والمعتزلة خصومة فكرية ، وسياسية أيضًا .

أمّا دعوى ابن قتيبة بأن الجاحظ كان يضع الأحاديث فتبدو بعيدة لا تُصدّق ، وكذلك القول بأنه كان يقصد الاستهزاء بالحديث النبوى الكريم ، إذ لا يفعل ذلك مسلم . إنما الأمر أن بعض العلماء قد يرون صحة حديث ما ، على حين ينفى صحته فريق آخر . وقد يخرج هؤلاء الأخيرون إلى السخرية ممن يقبلون الحديث ، بل قد يرون فيه إساءة إلى الإسلام ومناقضة لأصوله المجمع عليها ، فيظن من قبلونه بل قد يدعون عليهم أنهم إنما يستهزئون بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وحاشا مسلمًا أن يجرؤ على هذا ! ثم إن الجاحظ كان بطبيعته مرحًا يحب الفكاهة والنادرة ، كما كان بارعًا فى التهكم

بخصوم فكرته أيما براعة ، على عكس ابن قتيبة الوقور الذي يبدو
مما قرأناه له وكأنه لم يكن يعرف الضحك .

وليس معنى ذلك أننا نريد الغض من ذلك المفكر السنّي
الكبير ، فللرجل أيادٍ جليّة على الأدب العربي والفكر الإسلامي . وإنما
نريد أن نوضح البواعث التي حدثت به ، رحمه الله ، إلى تلك الحملة
الشديدة على أبي عثمان . وكلاهما بعدُ مهجّبٌ لدينه ، حريص على
نصرته ، يقف بالمرصاد لكل من تتناول عنقه إلى النيل منه . لكن
لكل منهما بعد ذلك طريقته وأسلوبه .

وإذا كان ابن قتيبة قد اتّهم طريقة الجاحظ في الرد على
النصارى فإن الغزالي قد اتّهم هو أيضا بمثل ذلك ، إذ قال عن المنهج
الذي اتبعه في عرض مذهب الباطنية : « فجمعتُ تلك الكلمات
ورتبته ترتيباً محكماً للتحقيق واستوفيتُ الجواب عنها حتى أنكر
بعض أهل الحق عليّ مبالغتي في تقرير حجّتهم ، وقالوا : هذا سعى
لهم ، فإنهم كانوا يعجزون عن نصرّة مذهبهم بمثل هذه الشبهات لولا
تحقيقتك لها وترتيبك إيها » (١٤) .

والواقع أن هذا الأسلوب هو أسلوب المنصفين الواثقين بأنفسهم ،
فهم يريدون أن يعطوا لرأى خصومهم الفرصة كاملة ليعرف الجمهور كل

شىء، عنه قبل أن يشرعوا فى الردّ عليه ، ثقةً منهم أنهم قادرون على
تفنيده تمامًا . وهذا الإنصاف هو سنة إسلامية ، فينبغى ألا تضيق
الصدور به . وهو فوق ذلك يمكّن لصاحبه فى قلوب القراء ، إذ
يلمسون بأنفسهم صدقه فى عرض رأى خصومه ، وهذا من شأنه أن
يميل آذانهم إليه ويجعلهم يطمنون إلى ما يقول . وفى كلام الجاحظ
نفسه فى الرسالة التى نحن بصدها دليل على هذا الذى نقول ، إذ
جاء فيها : « قد جعلنا فى جواباتهم وقدّمتنا مسائلهم بما لم يكونوا
ليبلغوه لأنفسهم ليكون الدليل تاما والجواب جامعا ، وليعلم من قرأ
هذا الكتاب وتدبّر هذا الجواب أنا لم نعتنم عجزهم ولم ننتهز غررتهم ،
وأن الإدلال بالحجة والثقة بالفلج والنصرة هو الذى دعانا إلى أن نخبر
عنهم بما ليس عندهم وألا نقول فى مسألتهم بمعنى لم ينتبه له : منتبه
أو يُشرّ إليه مشير وألا يوردوا على ضعفائنا ومن قصر نظره منا شيئا
إلا والجواب قد سلف فيه وألسنتهم قد مذلت به » (١٥) .

وأخيرا أختم هذه الكلمة بما قاله القاضى ابن أبى دؤاد فى
الجاحظ حين أتى إليه به مقيّدا بعد الإيقاع بغريمه ابن الزيات (الذى
كان الجاحظ منحازا إليه على حين كان منقبضا عن مجالس
القاضى) ، إذ مال ابن أبى دؤاد على أحد الحاضرين قائلا له :

« أنا أثق بظرفه ولا أثق بدينه » (١٦) ، كما قال للجاحظ ذاته حين أخذ يدفع عن نفسه ما اتهمه به من كفران النعمة : « قَبَّحَ اللهُ ! ما علمتُك إلا كثير تزويق الكلام . وقد جعلت ثيابك أمام قلبك ، ثم اصطفيت فيه الكفر والنفاق » (١٧) ، إذ لعلَّ بعض الناس يسارع إلى كلام ابن أبي دؤاد متخذاً منه دليلاً على فساد دين الجاحظ وصحة ما قاله فيه ابن قتيبة . والحق أن ابن أبي دؤاد إنما قال ذلك على سبيل التظرف والمداعبة . وليس أقوى برهاناً على ذلك من أنه قد دعا بالحداد من فوره ليكسر قيود أبي عثمان ، ثم أمر غلامه أن يصير به إلى الحمام ويُميط عنه الأذى وأن يعطيه تحَّت ثياب وعباءة وحقاً . ثم لما عاد الجاحظ من الحمام أجلسه فى صدر مجلسه وأقبل عليه قائلاً : « هات الآن حديثك يا أبا عثمان » (١٨) . وقد كان ابن أبي دؤاد من رؤوس المعتزلة ، ولا يُعقل أن يكون رأيه سيئاً حقاً فى واحد من أهم السنة الاعتزال .

وفى الصفحات التالية سوف نقوم بعرض شبهات النصارى التى أوردها الجاحظ فى رسالته وناقشها تفصيلاً ، مستعرضين أحيانا بعض أصدائها عبر العصور ومتوسعين فى الرد عليها وتبيين عوارها ، مع الاعتماد أولاً وقبل كل شىء ، على مقالات اليهود والنصارى أنفسهم .

الهوامش

- ١- انظر « رسائل الجاحظ » / تحقيق عبد السلام هارون / ٣ / ١٣ .
- ٢- انظر القاضي عبد الجبار / تثبيت دلائل النبوة / تحقيق د. عبد الكريم عثمان / ١ / ١٩٨ .
- ٣- انظر مقدمة د. محمد عبد الله الشرفاوى لكتاب نصر بن يحيى بن سعيد « النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية » / ٣١ .
- ٤- انظر « رسائل الجاحظ » / ٣ / ٣٠٢ - ٣٠٨ .
- ٥- المائة / ٨٢ - ٨٥ .
- ٦- انظر « رسائل الجاحظ » / ٣ / ٣٠٨ - ٣١١ .
- ٧- ابن قتيبة / تأويل مختلف الحديث / ٥٩ .
- ٨- السابق / ٥٩ - ٦٠ .
- ٩- كذلك ليس فى الرسالة رداً على الشبهة التى أثارها النصارى حول يحيى عليه السلام .
- ١٠- انظر « معجم الأدباء » لياقوت الحموى / ١٦ / ٧٦ ، ١٠١ ، ١٠٧ .
- ١٠٨ .
- ١١- المائة / ٩٠ .
- ١٢- البقرة / ٢١٩ .
- ١٣- انظر أسماء هذه الكتب فى « معجم الأدباء » / ١٦ / ١٠٩ .
- ١٤- د. عبد الحليم محمود / المنقذ من الضلال لحجة الإسلام الغزالي مع أبحاث فى التصوف ودراسات عن الإمام الغزالي / ١٢٨ .
- ١٥- رسائل الجاحظ / ٣ / ٣٤٩ - ٣٥٠ . ومثلت به : تكلمت به وأذاعته .

١٦- معجم الأدياء / ١٦ / ٨٠ .

١٧- السابق / ١٦ / ٧٩ .

١٨- السابق / ١٦ / ٨٠ .

٢- عبادة مريم

ونبدأ بأولى الشبهات التي ذكرها الجاحظ ، وهي قول النصارى إن الدليل على بطلان القرآن الكريم وفساد أمر المسلمين « أننا نحن المسلمين) ندعى عليهم ما لا يعرفونه فيما بينهم ولا يعرفونه من أسلافهم ، لأننا نزعم أن الله جل وعزّ قال في كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم : أنت قلت للناس : اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ » (١) ، وأنهم زعموا أنهم لم يدينوا قط بأن مريم إله في سرهم ولا ادّعوا ذلك قط في علانيتهم » (٢) . وهذه الشبهة مما لم أجد للجاحظ ردّاً عليها في الرسالة التي بين أيدينا ، ولا أدري لماذا .

وفي « دائرة المعارف الإسلامية : Encyclopaedia of Islam » نجد كاتب مادة « مريم » يجهد نفسه في إثبات أن القرآن قد أخطأ حين جعل النصارى يتخذون مريم إلهًا ، إذ قال إن الرسول ربما تأثر في تصوره ذاك بما تُوّليه الكنيسة لمريم من تبجيل أو ربما كان ذلك منه استنتاجًا أساسه الخلط بين عيسى والروح القدس ، مما ترتب عليه خلوّ موضع من المواضع في الثالوث بدت له مريم جديرة بشغله (٣) .

وقد كنت قرأت ، فيما أذكر الآن ، لمستشرق بريطاني قسيس ينكر ما جاء فى هذه الآية ، ويؤكد أنه لم يحدث أن عبد النصارى مريم فى أى وقت من الأوقات . ولم يكتف بهذا بل اتهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأنه انسا كان يستقى مثل هذه المعلومات عن النصرانية من العوام والجهلة ، الذين لا يوثق بهم ولا يعول على ما يقولون .

كذلك فقد كتب الأنبا شنودة فى أواخر عام ١٩٧٠م ، قبل أن يتولى البابوية ، مقالا عن « القرآن والمسيحية » ذكر فيه الآية القرآنية التى نحن بصددھا ، وأنكر بقوة أن تكون المسيحية قد قالت فى يوم من الأيام بألوهية العذراء ، ثم أضاف قائلاً إنه « إذا كانت قد قامت بدعة تنادى بتأليه العذراء ، فإن المسيحية تحاربها بكل قوة » (٤) .

كما جاء أيضا فى مادة « مريم » فى « الموسوعة العربية الميسرة » أنها ليست موضوع عبادة عند النصارى لأن العبادة للخالق وحده (٥) . ومن الواضح أن كاتب هذه المادة قد أراد تكذيب القرآن من طرف خفى ، وإلا فما الذى دعاد إلى هذا القول إن لم يكن النصارى قد عبدوها وألوهوها ؟

والواقع أن الآية القرآنية الكريمة لم تعد الحقيقة وأن كل من

يعترض عليها أو يحاول لمزها إنما هو المبطل . وقد ذكر ابن البطريق ، وهو مؤرخ نصراني شديد التعصب ، أن من النصارى من كان يقول إن المسيح وأمه إلهان من دون الله ، وهم طائفة « البربرانية » (٦) .

وفى مادة « Mary the Virgin » من « Dictionary of the Bible » (٧) وهو معجم للكتاب المقدس شديد الضخامة اشترك فى تأليفه علماء ، متخصصون غربيون ، وفيهم كثير من رجال الدين (نجد أنه كان من النصارى طوائف تعبد مريم مع المسيح عليه السلام . بل إنه حتى فى « دائرة المعارف الإسلامية » نجد كاتب مادة « مريم » ، وهو نفس المستشرق الذى خطأ القرآن فى هذه المسألة ، يعترف بأنه كان هناك فعلاً من النصارى من يعبدون مريم ويتخذونها إلهاً جاعلين منها أقنوماً من أقانيم الثالوث (٨) .

وفى مادة « Mary » فى « موسوعة الدين والأخلاق : Encyclopaedia of Religion and Ethics » كلام كثير عن شعائر العبادة لمريم ، وكيف نشأت هذه العبادة ثم تطورت على مر العصور عند الكنائس النصرانية المختلفة ، وكيف ترفع الصلوات إليها ويطلب منها ما ينبغى ألا يطلب من غير الله سبحانه ، ويخضع عليها من الصفات ما هو من حقه تعالى وحده ... إلخ (٩) .

وفى « الموسوعة البريطانية : Encyclopaedia Britannica » أيضا حديث عن عبادة النصارى لمريم عليها السلام بوصفها أم الإله ، إذ يصلون لها ويسبحونها ويتجهون إليها بالدعاء ، والمطالب المختلفة لتحقيقها لهم (١٠) .

وفى « موسوعة كوليه : Collier's Encyclopaedia » نقرأ النص التالى ، وهو عنى عن أى تعليق : « وقد ترتب على كون مريم أم الإله أنها فاقت فى النبل جميع البشر ، واحتلت من حيث القداسة المكانة التالية مباشرة لابنها الإله . وقد كرمتها الكنيسة وميزتها بتمجيد خاص يختلف عن ذلك الذى خلعتة على القديسين الآخرين ... وكذلك بالعبادة ، التى هى من حق الله وحده ... إلخ » (١١) .

وقد أكد ول ديورانت « أن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها ... وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة ... (و) جاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ... ومنها جاءت عبادة أم الطفل ... ومن فريجيا جاءت عبادة الأم العظمى ... وقصارى القول إن المسيحية كانت آخر شىء عظيم ابتدعه العالم الوثنى القديم » (١٢) .

ويذكر رجل دين نصرانى هو القمص زكريا إبراهيم « أن هذه

الفرقة (يقصد الفرقة التي تعبد مريم) ظهرت فى القرن الخامس الميلادى . وكان أصحاب هذه البدعة من الوثنيين الذين اعتنقوا المسيحية ، وكانوا فى وثنيتهم يعبدون الزهرة ويقولون عنها : « ملكة السماء » . وعندما اعتنقوا المسيحية حاولوا التقريب بين ما كانوا يعبدون وبين العقيدة المسيحية ، فاعتبروا مريم ملكة السماء أو إلهة السماء بدلا من الزهرة ، ولذلك أطلقوا على أنفسهم اسم المريميين « (١٣) .

وقد ذكر هذه الفرقة أيضا مؤلف نصرانى آخر هو زكى شنودة فى كتابه « تاريخ الأقباط » (١٤) .

وهذا الذى يقوله أهل البيت العالمون بخباياه وخفاياه لم يكن يجهله علماء الإسلام منذ وقت جد مبكر . فهذا قتادة ، وهو من التابعين ، يقول : « اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا أربعة نفر ، أخرج كل قوم عالمهم ، فامتروا فى عيسى حين رُفِع . فقال بعضهم : هو الله ، هبط إلى الأرض فأحيا من أحياء وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء . وهم اليعقوبية . فقال الثلاثة : كذبت . ثم قال اثنان منهم للثالث : قل أنت فيه . قال : هو ابن الله . وهم النسطورية . فقال الاثنان : كذبت . ثم قال أحد الاثنان للآخر : قل فيه . قال : هو

ثالث ثلاثة : الله إله ، وهو إله ، وأمه إله . وهم الإسرائيلية ملوك
النصارى . فقال الرابع : كذبت ، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته .
وهم المسلمون . فكان لكل رجل أتباع على ما قالوا ، فاقتتلوا فظهروا
على المسلمين « (١٥) . وقتادة يشير فى كلامه هذا إلى المؤتمرات
العقدية التى كان يعقدها النصارى فى القرون الأولى من تاريخهم
والخلافات التى كانت تنشب بين بطاركتهم فى هذه المؤتمرات وكيف
انتهى الأمر إلى تسلط الاتجاه الوثنى على عقيدة الموحدين .

وقد تحدث عن ذلك الراهب الإسباني أنسلم تورميديا ، الذى ترك
النصرانية ودخل فى دين التوحيد وسمى عبد الله الترجمان ، إذ يقول
عن أهل ملته الأولى إنهم « يؤمنون بأن الله ، تعالى عن قولهم ،
ثالث ثلاثة ، وأن عيسى هو ولد الله ، وأن له طبيعتين : ناسوتية
ولاهوتية ، وهاتان الطبيعتان صارتا شيئا واحدا فصار اللاهوت إنسانا
مُحدّثا تماما مخلوقا ، وصار الناسوت إليها تماما خالقا غير مخلوق .
وبعضهم يقول : الثلاثة هم الله تعالى وعيسى ومريم » (١٦) .

وقد ذكر هذه الفرقة أيضا ابن حزم ، وقال (مثلما قال ابن
البطريق من قبل) إن اسمها « البربرانية » . كما أشار إلى أن
النصارى يسجدون (فيما يسجدون له من تماثيل) لتمثال مريم

ويصومون له تدينا (١٧) .

كما أورد بعض علماء المسلمين ما يدعوها به النصارى فى صلواتهم مثل : « يا والدة الإله العذراء ، اسعى فى خلاصنا وافرحى يا والدة الإله . مباركة أنت فى النساء ، ومباركة ثمرة بطنك ، لأنك ولدت لنا مخلصاً يا والدة الإله . مباركة لا تغفلى عن وسيلتنا . ونحن من المعاطيب فى هذه الصلاة » ، وغير ذلك (١٨) .

وفى كتاب « المناطرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله الهنذى والدكتور القسيس فندر » أنه كانت هناك فى القرون الأولى من تاريخ النصرانية فرقة تسمى « كولى رى دينس » تقول إن الآلهة ثلاثة : الآب والابن ومريم ، وأن هذا القول ربما كان مكتوباً فى إنجيلهم (١٩) . ويبدو أنها هى الفرقة التى ذكرها محمد حميد الله كما سنرى بعد أسطر قليلة .

ويقول عبد الله يوسف على العلامة الهنذى وصاحب الترجمة الإنجليزية الشهيرة للقرآن الكريم إن عبادة مريم ، التى ألغاه البروتستانت ، كانت واسعة الانتشار بين النصارى الأوائل فى المشرق والمغرب (٢٠) . كذلك ذكر محمد حميد الله ، فى ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم تعليقا على آية سورة « المائدة » التى يدور الكلام

فى ههء الصفءاء ءولها ، أن الإءارة فى الآفة ءاصة بءائفة ال «Corydiens» وءفرهم ممن فضعون مررم فى مرءبة أعلف من مرءبة البءرفة (٢١) .

والءلاصة أن القرآن ءفنا ذكر أن هناء من فعبءون مررم إنما فقرر ءقفة ءارفةة لا سبفل إلى الشء أو المرء ففها . أما الءفن فعءرضون على ذلك وفءءبونه ، بصرفء القول أو اللءن ففه ، فبان اعءراضهم هءا لا فغنى من الءق شفنا . وسواء بعء ذلك أءان النصارف هم الءفن فعبءونها أم أن فرقة ضالة لا ءعء منهم ، كما فءعى البعض ، هى الءف ءاىء ءقول هءا (٢٢) . ذلك أن القرآن لم فءعرض لفءه النءطة الفرعة ، إء كل ما قاله هو أن من الناس من ءان فءءء عفسى ومررم إلهفن من ءون الله ، مءءفا بإءارة إلى فرففهم الءف فرءءونها ءون أن فهم بءصففهم .

الهوامش

- ١- المائدة / ١١٦ .
- ٢- رسائل الجاحظ / ٣ / ٣٠٣ - ٣٠٤ .
- 3- E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam , Vol. V, p. 311 .
- ٤- الأنبا شنودة / مقال « القرآن والمسيحية » / مجلة « الهلال » المصرية / ديسمبر ١٩٧٠ م / ٢٦ .
- ٥- الموسوعة العربية الميسرة / ١٦٨٩ .
- ٦- انظر ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح / ١ / ١٧١ - ١٧٢ .
- و ٣ / ٢٢ . ود . على عبد الرحمن وافي / لأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام / ١٠٧ .
- 7 - Dictionary of the Bible , ed. by William Smith , London , 1863 .
- 8 - E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam , Vol. V , p. 311 .
- 9 - Encyclopaedia of Religion and Ethics , ed. by James Hastings , Vol. 8 , pp. 474 - 480 .
- 10 - Encyclopaedia Britannica - Macropaedia , 15th ed., Vol. 11 , pp. 560 - 562 .
- 11- Collier's Encyclopaedia , Vol. 15 , p. 470 .
- ١٢- ول ديورانت / قصة الحضارة / ترجمة محمد بدران / ١١ / ٢٧٦-٢٧٥ .
- ١٣- القمص زكريا إبراهيم / الله واحد فى الثالوث المقدس / ٤١ .
- ١٤- انظر د . رموف شلبي / يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء / ٢١٢ .
- ١٥- « تفسير القرآن » لعبد الرزاق بن همام الصنعاني / تحقيق د . مصطفى مسلم / ٢ / ٨ . وتفسير ابن كثير / ٣ / ١٢٢ .
- ١٦- أبو محمد عبد الله الترجمان الميورقي / تحفة الأريب فى الرد على أهل

- الصليب / دراسة وتحقيق وتعليق عمر وفتيق الداعوق / ١٣٩ - ١٤١ .
- ١٧- انظر « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » / تحقيق د . محمد إبراهيم نصر ود . عبد الرحمن عميرة / ١ / ١١٠ ، و ٢ / ٢٠٥ .
- ١٨- القرافى / الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة / تحقيق د . بكر زكى عوض / ٣٥٦ - ٣٥٧ . وانظر ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح / ٣ / ١٩٣ ، وكذلك ابن قيم الجوزية / هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى / تعليق مصطفى أبو النصر الشلبى / ٢٦١ - ٢٦٢ .
- ١٩- انظر « المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله الهندى والدكتور القسيس فندر » / تحقيق د . محمد عبد القادر خليل / ٢٧١ - ٢٧٢ .
- 20 - Abdullah Yusuf Ali , The Holy Quran , 280 , n. 829 .
- 21 - Muhammad Hamidullah , Le Saint Coran , p. 161 .
- ٢٢- مثلما رأينا عند القمص زكريا إبراهيم . ومن الذين ادعوا هذا أيضا إسكندر جيد المرشد الروحاني لمركز الشبيبة فى لبنان (انظر إبراهيم سليمان الجبهان / معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التمشير / ١٤١ - ١٤٢) .

٣- عَزِيزٌ

ويزعم النصارى أن من الأدلة على بطلان القرآن الكريم ادعاءه على اليهود القول بأن عَزِيزًا ابن الله ، مع أن اليهود لو كانوا قالوا ذلك ما جحدوه من دينهم ولا أنكروا قولهم إياه (١) .

والذى ورد فى القرآن عن هذا الموضوع هو قوله جل شأنه : « وقالت اليهود : عَزِيزٌ ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله ! أتى يُؤفكون ؟ » (٢) . وسبب نزول هذه الآية فيما يختص باليهود أن بعض زعمائهم قد أتوا النبى صلى الله عليه وسلم يحاجونه ويذكرون السبب الذى يمنعهم من قبول ما يعرضه عليهم من الدخول فى الإسلام ، قائلين : « كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله ؟ » (٣) .

ومن هذا يتبين أن الذين قالوا بذلك كانوا من يهود المدينة وأن القرآن قد سجّل ذلك عليهم . وقد سمع أولئك اليهود بما نعاد عليهم القرآن وخرسوا . ولو أنهم لم يقولوا هذا لاعترضوا على النبى عليه السلام ولشّنعوا عليه وعلى القرآن الكريم ، إذ إن هذه فرصة ثمينة بل سيف بتار قاتل ما كانوا ليهملوه . بل بالحرى كانوا يمتشقونه ليطعنوا

به الدين الجديد طعنة نجلاء، تكفل لهم الانتصار عليه فى الحرب
النفسية المتأججة التى كانوا يشنونها على محمد صلى الله عليه وسلم .
فالزعم إذن بأن اليهود قد أنكروا ذلك هو زعم باطل ، فهم لم ينكروه .
ولو كانوا قد أنكروه لتحدث عنه القرآن أو لروته على الأقل الأحاديث
وكتب التاريخ ، كما حدث مع عدى بن حاتم ، الذى أبدى دهشته لقول
القرآن ، عقب الآية السابقة مباشرة ، عن أهل الكتاب إنهم « اتخذوا
أجبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » ، وقال للنبي صلى الله عليه
وسلم إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، فبيّن النبي عليه السلام أنهم قد
حرّموا عليهم الحلال وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم ، وهذه هى عبادتهم
إياهم (٤) . ومعروف أن بولس قد نسخ شريعة التوراة (٥) ، وأن
كتبة الأناجيل قد ادعوا أن المسيح قد جعل ما يحله رسله على الأرض
محلولا فى السماء ، وما يربطونه على الأرض مربوطا فى السماء (٦) .
كما أن البابوات كان يبيعون لرعاياهم صكوك الغفران ، والغفران هو
من أخص خصائص الله سبحانه . وما زال النصارى حتى الآن يذهبون
إلى القساوسة ليعترفوا لهم بما اجترموه من مآثم فيغفروها لهم . وما
أكثر النسوة والفتيات اللانى يقصدن القسيس فى الكنيسة على انفراد
فيخلو بهن فى جوها الصامت المظلم ويسمع منهن تفصيلات الفواحش

التي يقتربنها دون حياء، من الطرفين ! ودعنا مما يمكن أن يحدث في مثل هذه الظروف المثيرة المرعبة . كما أن النصارى يسجدون لتمائيل قديسيهم ويصومون لهم . أما اليهود فقد أجمع أحبارهم مثلاً على أن من يشتم الله أو الأنبياء، يؤدَّب ، أما من يشتم الأحبار فيُقتل (٧) . وفي التلمود أن خلافاً علمياً وقع بين الله وأحبار اليهود حكم فيه أحد الحاخامات لصالح الأحبار ، واعترف الله بخطئه (٨) ، وأنه سبحانه يستشير الخمامات عندما تقابله مشكلة (٩) ، وأن مخافة الحاخامات هي بمثابة مخافة الرب نفسه (١٠) ، علاوة على تبديل التلمود كثيراً من شرائع التوراة ... إلخ .

وقد ذكر الجاحظ أن فريقاً من بقايا القائلين ببنوة عزير لله سبحانه كانوا لا يزالون في عصره باليمن والشام وداخل بلاد الروم (١١) . وقد ورد عند ابن حزم أن الذين كانوا يقولون ذلك هم طائفة الصدوقيين باليمن (١٢) . وكانت بينه ، رحمه الله ، وبين مواطنه ابن النغريلة اليهودى مجادلات من هذا النوع ، فلم لم يكذبه فيما قاله من أن طائفة من بنى دينه تدين ببنوة عزير لله ؟ وقد رأينا قبل قليل كيف أن النصارى الذين يعملون على تخطئة القرآن ، ومنهم قساوسة ومبشرون متبحرون في دينهم ، مازالوا يدعون أنه لا يوجد

نصرانى واحد يعبد مريم ، وذلك رغم ثبوت صحة ما قاله القرآن الكريم فى هذا الصدد. وقد أسلم عدد من يهود المدينة على يد النبى عليه السلام ولم يحدث أن أحداً منهم قد استغرب هذه الآية أو استوضحها النبى مجرد استيضاح .

وقد جاء فى الروايات أن ابن عباس باحث يوماً عبد الله بن سلام (وهو يهودى أسلم عقب هجرة النبى عليه السلام إلى المدينة) فى قول الله تعالى : « وقالت اليهود : عزيرُ ابنُ الله » وسأله : لم قالوا ذلك ؟ فذكر ابن سلام ما كان من كتابة عزير التوراة لبني إسرائيل من حفظه وقول بني إسرائيل حينذاك : لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة إلا فى كتاب ، أما عزير فقد جاءنا بها من غير كتاب ، فغلتّ فيه طوائف منهم وقالوا إنه ابن الله (١٣) .

وقد أقرّ القسيس الذى ناظره فخر الدين الرازى فى أمر الإسلام والنصرانية بأن بعض اليهود قد قال ذلك فعلاً . وكل ما عقّب به هو أنه « لا يلزم من قول واحد فى وقتٍ ما قول الجميع فى جميع الأوقات » (١٤) . وقد وضع الرازى له أن قوله تعالى : « وقالت اليهود : عزيرُ ابنُ الله » لا يقتضى فعلاً أن يكون إخباراً عن الكل ولا فى كل وقت (١٥) . وقد اتفق المفسرون على أن إسناد هذا القول

إليهم يراد به بعضهم لا كلهم . وذكر رشيد رضا أن القاعدة في الأقوال والأفعال المسندة في القرآن إلى جملتهم رغم أنها صادرة عن بعضهم فقط هي الإشارة إلى أن الأمة تُعدّ متكافلة في شؤونها العامة ، وأن ما يفعله بعض الفرق والجماعات أو الزعماء ، يكون له تأثير في جملتها ، وأن المنكر الذي يفعله بعضهم يؤاخذ الجمهور به ما داموا لم ينكروا عليهم أو يحاولوا إزالته ، وذلك مثلما يصيب الوباءُ مجموع الناس ولا يقتصر على مرضاه الأصليين (١٦) . على أنه يمكن أن تكون الألف واللام الداخلة على لفظة « اليهود » في الآية السابقة هي « آل » العهدية لا الجنسية ، ويكون اليهود فيها من شئ يهودًا معينين ، وليس كل اليهود ، أو يكون الكلام على التوسّع كما يحدث كثيرا في مثل هذه الحالة .

وفي « تفسير عثمانى » (باللغة الأوردية) للعلامة شبير أحمد عثمانى أن عالمًا هنديًا اسمه الحاج أمير شاه خان لقي في فلسطين ، أثناء زيارته لها (قبل بضع عشرات من السنين) ، بعض اليهود ممن ينتمون إلى فرقة اسمها « العزيرتيون » لا تزال تعتقد أن عزيرا ابن الله (١٧) . وقد رأينا قبل قليل ما ذكره ابن حزم من أن الذين كانوا يقولون ذلك كانوا يعيشون في اليمن . وهذا وذاك

يؤكدان ما جاء عند الجاحظ من أن بقاياهم كانوا باليمن والشام وبلاد الروم .

وقد ذكر د. عبد المنعم الحفنى فى « الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية » جماعة اليهود الذين يزعمون أن عزيزا هو ابن الله ، وهم طائفة الصدوقيين (١٨) .

ولعلّ بعض الناس يستغربون أن يكون من اليهود من ينسب لله ابنا ، إذ المشهور أن الذين يقولون بذلك إنما هم النصارى ، أما اليهودية فديانة توحيد . ولكن الحقيقة ليست كذلك ، لأنه إذا كان النصارى قد ادعوا أن المسيح ابن الله فإن اليهود قد ادعوا هذه البنية لأكثر من شخص . وما عزّير إلا واحد من هؤلاء . وقد ذكره القرآن بالاسم لأن بعض يهود المدينة قد عيّنه فى جدالهم مع النبى صلى الله عليه وسلم تعيينا .

ومن ذلك ما جاء فى العهد القديم من « أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا ... وبعد ذلك ... دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا » (١٩) . كما نسب مؤلفو هذا الكتاب إليه سبحانه زورا قوله لبنى إسرائيل : « أنتم أولاد للرب إلهكم » (٢٠) ، وكذلك قوله عن

إسرائيل إنه « ابنه البكر » (٢١) . وفى سفر « أيوب » نقرأ أنه قد « جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب » (٢٢) ، و « ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بنى الله » (٢٣) . ويقول كاتب المزامير (٢ / ٧) إن الله قال لداود : « أنت ابنى ، أنا اليوم ولدتك » . وتجعل الآية ٢٦ من المزمور السابع والثلاثين لله نسلًا . وتتكلم الآية ٧ من المزمور التاسع والثمانين عن « أبناء الله » . وفى المزمور التاسع والثمانين يقول الله عن داود عليه السلام فيما يزعمون : « هو يدعونى أبى أنت ... أنا أيضا أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض » (٢٤) . وفى « إشعياء » يضعون على لسان الله الكلام التالى : « لأنه يُولد لنا ولد ونُعطي ابنا وتكون الرياسة على كتفه وُدعى اسمه عجيبا مشيرا إليها قديرا أبا أبديا رئيس السلام » (٢٥) . وبيتهل إشعياء لله قائلا : « أين غيرتك وجبروتك . زفير أحشائك ومراحمك نحوى امتنعت . فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرنا إسرائيل . أنت يا رب أبونا وليتنا منذ الأبد اسمك » (٢٦) . وفى سفر « إرميا » يقول كاتبه مسندا الكلام إلى الله تعالى : « صرتُ لإسرائيل أبًا ، وأفرايم هو بكرى » (٢٧) . وفى « هوشع » يوصف بنو إسرائيل بأنهم :

« أبناء الله الحيّ » (٢٨) . وفي التلمود أن أرواح اليهود تتميز عن
سانر أرواح البشر بأنها جزء من الله مثلما أن الابن جزء من
أبيه (٢٩) . وغير ذلك كثير . وقد سجّل القرآن زعمهم (هم
والنصارى) أنهم « أبناء الله وأحباؤه » (٣٠) .

ولم يكتف اليهود بأن جعلوا لله أبناءً ، بل جعلوا له سبحانه
أيضاً زوجة ، إذ جاء في المزمور الخامس والأربعين حسب الترجمة التي
كانت تحت يد ابن حزم ، رحمه الله ، قول صاحب المزامير يخاطب الله
تعالى : « وقفت زوجتك عن يمينك وعقاصها من ذهب . أيتها الابنة
اسمعي وميلي بأذنيك وأبصرى وانسى عشيرتك وبيت أبيك فيهواك الملك
وهو الرب والله ، فاسجدي له طوعاً » (٣١) . وقد غيّر مترجمو
البروتستانت في العصر الحديث ذلك فحذفوا كلمة « زوجتك » ووضعوا
مكانها لفظة « الملكة » ، كما استبدلوا بعبارة « وهو الرب والإله »
قولهم : « لأنه هو سيّدك » (٣٢) . ومع ذلك فمازلنا نقرأ في العهد
القديم مثل هذا الكلام .

من ذلك ما نسب إليه تعالى في « إرميا » (٣ / ١ - ١٠)
يخاطب الأمة اليهودية : « إذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده
وصارت لرجل آخر هل يرجع إليها بعد . ألا تتنجس تلك الأرضُ

نجاسة . أما أنت فقد زنت بأصحاب كثيرين . لكن ارجعى إلى ،
يقول الرب ... ألسنت من الآن تدعيننى يا أبى أليف صباى أنت ...
وقال الرب ... : هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل . انطلقت إلى كل
جبل عال وإلى كل شجرة خضراء . وزنت هناك . فقلت بعدما فعلت كل
هذه ارجعى إلى . فلم ترجع ... فرأيت أنه لأجل كل الأسباب إذا زنت
العاصية إسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها لم تخف الخائنة يهوذا
أختها بل مضت وزنت هى أيضا . وكان من هوان زناها أنها نجست
الأرض وزنت مع الحجر ومع الشجر . وفى كل هذا أيضا لم ترجع إلى
أختها الخائنة يهوذا بكل قلبها بل بالكذب ، يقول الرب « .

ومثله ما زعم ، فى سفر « حزقيال » (١٦ / ٧ - ٢٧) .
أنه تعالى قد قاله أيضا لآمة اليهود : « جعلتك ربوة كنبات الحقل
فربوت وكبرت وبلغت زينة الأزيان . نهدي ثدياك ونبت شعرك وقد كنت
عريانة وعارية . فمررت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب . فبسطت
ذيلي عليك وسترت عورتك وحلفت لك ودخلت معك فى عهد . يقول
السيد الرب ، فصرت لى ، فحممتك بالماء ... ومسحتك بالزيت .
والبستك مطرزة ونعلتك بالتخس وأزرتك بالكتان وكسوتك بزاً . وحليتك
فوضعت أسورة فى يديك وطوقا فى عنقك . ووضعت خزامة فى أنفك

وأقراطا فى أذنيك وتاج جمال على رأسك . فتحلّيت بالذهب والنفضة
ولباسك الكتان والبزّ والمطرز . وأكلت السميد والعسل والزيت وجمّلت
جدا جدا فصلحت لمملكة ... فاتكلت على جمالك وزنيت على اسمك
وسكبت زناك على كل عابر فكان له . وأخذت من ثيابك وصنعت
لنفسك مرتفعات موشاة (٣٣) وزيّت عليها . أمر لم يأت ولم يكن .
وأخذت أمتعة زينتك من ذهبى ومن فضتى التى أعطيتك وصنعت
لنفسك صور ذكور وزنيت بها ... فى رأس كل طريق بنيت مرتفعتك
ورجست جمالك وفرجت رجلك لكل عابر وأكثرت زناك ... أيتها الزوجة
الفاسقة تأخذ أجنبيين مكان زوجها . لكل الزوانى يُعطون هدية . أما
أنت فقد أعطيت كل محبيك هداياك ورشيتهم ليأتوك من كل جانب
للزنا بك ... » .

وفى « هوشع » (٢ / ٢ - ١٦) ينسب الكاتب إلى الله
سبحانه الكلام التالى : « حاكموا أمكم حاكموها لأنها ليست امرأتى
وأنا لست رجلا لكى تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها
لنلا أجزدها عريانة وأوقفها كيوم ولادتها ... ولا أرحم أولادها لأنهم
أولاد زنى . لأن أمهم قد زنت ... لأنها قالت أذهب وراء مَحَبَتِي الذين
يعطون خبزي ومانى صوفى وكتانى وأشربتى ... فتقول أذهب وأرجع إلى

رجلى الأزل لأنه حينئذ كان خير (٣٤) لى من الآن . وهى لم تعرف أنى أعطيتها القمح والمسطار والزيت وكثرت لها فضة وذهباً جعلوه لبعل . لذلك أرجع وأخذ قمحى فى حينه ومسطارى فى وقته وأنزع صوفى وكتانى اللذين لستر عورتها . والآن أكشف عورتها ولا ينقذها أحد من يدى ... وأخرّب كرمها وتينها اللذين قالت هما أجرتى التى أعطانيها محبى ... وأعاقبها على أيام بعليم التى فيها كانت تبخر وتتزين بخواتمها وحليها وتذهب وراء محبيها وتنسانى أنا ، يقول الرب . لكن هانذا أتلقها وأذهب بها إلى البرية وألطفها . وأعطيها كروما من هناك ... ويكون فى ذلك اليوم ، يقول الرب ، أنك تدعينى رجلى ولا تدعينى بعد بعلى »

إن الإنسان ، حينما يقرأ هذ الكلام ، لا يتمالك نفسه من الرثاء ، لمثل هذا الزوج الواله المسكين الذى مرغت زوجته الزانية الخنون شرفه فى الرغام ، ولكنه لا يستطيع عنها سلوا رغم كل سبابه القبيح لها وتهديداته إياها بالهجر والفضيحة !

وقد حدّد آرثر هرتزبرج (فى كتابه « Judaism ») الزمان والمكان اللذين تمّ فيهما عقد الزواج بين الله وإسرائيل حسب افتراءات اليهود فقال إن ذلك كان فى سيناء ، حين تجلى الله لموسى وبني

إسرائيل . وأضاف أن السماوات والأرض كانت شهود ذلك
العقد (٣٥) . ويقول ول ديورانت إن « نشيد الإنشاد » المنسوب
لسليمان (وهو نشيد يفوق قصائد الشعراء الداعرين في عرّيه وإثارته
للشهبوات وإغرائه بالفجور) هو في اعتقاد اليهود ترنيمة موحاة من
السماء لتصور تصويرا مجازيا اقتران يهود بإسرائيل عروسه
المختارة (٣٦) .

هذا عن بنوة عزير لله التي ادعاها له فريق من اليهود وحكاها
عنهم القرآن الكريم . لكن من عزير هذا ؟ الشانع بين المفسرين
والمؤرخين المسلمين (٣٧) أنه عزرا ، الذي يقول بعضهم إنه كان نبيا ،
وبعضهم إنه مجرد كاهن أو كاتب . وأغلبهم ينسبون إليه أنه هو الذي
أعاد كتابة التوراة بعد تلفها . وبعضهم ، كاليعقوبي ، يقول إنه حفر
عنها في بئر كانت مطمورة فيه واستخرجها ونسخها من جديد مع كتب
الأنبياء الأخرى .

ويقول سبينوزا (في كتابه « رسالة في اللاهوت والسياسة »)
إن عزرا إنما جمع الروايات المختلفة من الكتب أو المأثورات الشعبية
المتداولة على الألسن ونسخها دون تحقيق أو ترتيب . ومن هنا جاءت
النصوص في معظم كتب العهد القديم منقوصة ومتعارضة ، لأن

مصادرها متعددة ولأن الكتاب الذين كانوا يعملون في جمعها تحت إشرافه لم يطلع أى منهم على ما كتبه الآخرون (٣٨) . ويؤكد د. فؤاد حسنين على أن العهد القديم لم يُجمع كله على يد عزرا بدليل وجود أسفار فيه متأخرة عن زمنه كسفر دانيال (٣٩) .

أما السموأل بن يحيى المغربى (وهو حبر يهودى أندلسى كان يعيش فى القرن السادس الهجرى ودخل فى الإسلام) فإنه يحمل على عزرا حملة شديدة وينفى أنه هو عزير الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم . قال : « كان عزرا هذا خادما لملك الفرس حظيا لديه فتوصل إلى بناء بيت المقدس وعمل لهم هذه التوراة التى بأيديهم . فلما كان هارونيا كره أن يتولى عليهم فى الدولة الثانية داوودى فأضاف فى التوراة فصلين طاعنين فى نسب داود : أحدهما قصة بنات لوط ، والآخر قصة ثامار (٤٠) . ولقد بلغ ، لعمرى ، غرضه ، فإن الدولة الثانية التى كانت لهم فى بيت المقدس لم يملك عليهم فيها داووديون ، بل كانت ملوكهم هارونيين . وعزرا هذا ليس هو العزير كما يُظن ، لأن العزير هو تعريب العازار . فأما عزرا فإنه إذا عرّب لم يتغير عن حاله لأنه اسم خفيف الحركات والحروف ، ولأن عزرا عندهم ليس بنبى ، وإنما يسمونه « عزرا هوفير » ، وتفسيره : الناسخ » (٤١) .

لكنى أرجح أنه لو كان « العازار » هو « عَزِيْرًا »
 لسماه القرآن الكريم « العَزِيْر » (بالالف واللام) ، كما فعل مع
 « اليسع » (الذى أصله « أليشع ») . وقد فعل السموأل نفسه ،
 رحمه الله ، ذلك ، فإنه لم يكتبه إلا بالالف واللام . وفضلاً عن ذلك ،
 فإن جميع علماء المسلمين القدامى تقريباً قد قالوا إنه عزرا . وعندنا
 رواية أوردها ابن عساكر عن عبد الله بن سلام أنه هو عزرا ناسخ
 التوراة ، على ما جاء فى « البداية والنهاية » لابن كثير كما مر
 بيانه . ثم إن كون عزرا نبياً أو غير نبى لا يقدم فى المسألة ولا
 يؤخّر (٤٢) . وأخيراً فإنه إذا كان عزير هو « العازار » ، فأى العازار
 ذلك ؟ ولماذا بناه اليهود لله سبحانه ؟ إن السموأل للأسف لم يجب عن
 هذين السؤالين المهمين برغم تبخره فى العربية والعبرية والقرآن الكريم
 وكتب اليهود والنصارى . وقد رجح رءوف أبو سعده أن يكون يهود
 المدينة الذين قالوا ببنوة عَزِيْر لله قد حوَرُوا نطق اسمه من « عزرا »
 (وهى صيغة المصدر من مادة « ع ز ر » بمعنى اسم الفاعل)
 إلى « عزير » (بالإمالة ، وهى صيغة اسم الفاعل من تلك المادة) ،
 ثم جاء القرآن وعربها بصيغة التصغير العربية ، التى هى أقرب شىء ،
 إلى صيغة اسم الفاعل العبرية (٤٣) .

أما الدكتور أحمد شلبي فإنه لا يقطع بأن عزرا هذا هو عزير الوارد في القرآن ، وإنما يكتفى بأن يقول : « يُنسب سفر عزرا إلى عزرا الكاهن ، ويبدو أنه عزير الذي ورد ذكره في القرآن الكريم » (٤٤) .

وفي ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم يقول د. صلاح الدين كشريد عن عزير هذا إنه هو عزيا ، أحد الأنبياء العبرانيين الصغار الاثنى عشر (في القرن الثامن قبل الميلاد) (٤٥) . بيد أن من الصعب جدا الاقتناع بأن « عزير » هو تعريب « عزيا » .

فأمامنا إذن في عزرا ثلاثة آراء على الأقل : أنه هو عزير ، وأنه ليس إياد ، وأنه يبدو أنه هو .

الهوامش

- ١- رسائل الجاحظ / ٣٠٣ - ٣٠٤ .
- ٢- التوبة / ٣٠ .
- ٣- انظر مثلاً الطبري والرازي وابن كثير في أسباب نزول هذه الآية .
- ٤- روى ذلك الترمذى وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقى وغيرهم . وتجده مذكوراً في كثير من كتب التفسير وكتب أسباب النزول عند تناول هذه الآية .
- ٥- وذلك كما تبينه « رسائل بولس » (في العهد الجديد) في مواضع متعددة منها .
- ٦- انظر متى / ١٦ / ١٩ - ٢٠ ، و ١٨ / ١٨ ، ويوحنا / ٢٠ / ٢٣ .
- ٧- ابن حزم / الفصل في الملل والأهواء والنحل / ١ / ٣٢٥ .
- ٨- إبراهيم خليل أحمد / إسرائيل والتلمود / ٦٥ .
- ٩- انظر د . صابر طعيمة / الأسفار المقدسة قبل الإسلام / ١٦٤ .
- ١٠- السبق / ٤٩ .
- ١١- انظر « رسائل الجاحظ » / ٣ / ٣٤٦ .
- ١٢- انظر ابن حزم / الفصل في الملل والأهواء والنحل / ١ / ١٧٨ ، وانظر كذلك كتابه « الرد على ابن التبريلة » في « رسائل ابن حزم الأندلسي » تحقيق د . إحسان عباس / ٣ / ٦٧ .
- ١٣- انظر ابن كثير / البداية والنهاية / ٢ / ٤٦ .
- ١٤- فخر الدين الرازي / مناقرة في الرد على النصارى / تحقيق د . عبد المجيد النجار / ٣٩ - ٤٠ .
- ١٥- السبق / ٤٧ .

- ١٦- انظر محمد رشيد رضا / تفسير المنار / ١٠ / ٣٨٣ .
- ١٧- العلامة شبير أحمد عثمانى / تفسير عثمانى (بالأوردية) / ٢٥٣ -
- ٢٥٤ . وقد ترجم لي النص من الأوردية إلى الإنجليزية مشكورا صديقي د . عادل عثمانى رئيس تحرير مجلة « Pakistan Library Bulletin » . والذي يعمل منذ سنوات مديرا لمكتبة كلية التربية (فرع جامعة أم القرى) بالطائف .
- ١٨- الموسوعة المذكورة / مادة « الصدوقية » .
- ١٩- تكوين / ٦ - ٢ . ويذكر سفر « التثنية » (١٩ / ٣٢) لله بنين وبنات

أيضا !

- ٢٠- تثنية / ١٤ - ١ .
- ٢١- خروج / ٥ - ٢٢ - ٢٣ . وفي سفر « التثنية » (٣٢ / ٧ مرتين) إشارة إلى هذه البنية .
- ٢٢- أيوب / ١ - ٦ .
- ٢٣- أيوب / ٣٨ - ٧ .
- ٢٤- مزامير / ٨٩ - ٢٦ - ٢٧ . وقد رأينا قبلا أن ابنه البكر . تعالى الله عن ذلك . هو إسرائيل . وسنرى بعد قليل أنه أفرايم . وهو تناقض مضحك .
- ٢٥- إشعياء / ٩ - ٦ . وواضح مدى التناقض بين تسمية المولود « ابنا » وتسميته بعد قليل « أبا أندب » .
- ٢٦- إشعياء / ٦٣ - ١٥ - ١٦ .
- ٢٧- إرميا / ٣١ - ٩ . وقد مر في سفر « الخروج » قول الله . على زعمهم . إن إسرائيل (لا أفرايم) هو ابنه البكر . كما رأينا في المزمور ٨٩ أنه هو داود . وهو من تناقضات العهد القديم التي لا تكاد تحصى .

- ٢٨- هوشع / ١ / ١٠ .
- ٢٩- د. أحمد شلبي / اليهودية / ٢٧١ - ٢٧٢ . وإبراهيم خليل أحمد / إسرائيل والتلمود / ٦٧ .
- ٣٠- المائدة / ١٨ . ويخاطب النصارى الله فى صلواتهم قائلين : « أبانا الذى فى السماوات ... » . كما تكرر فى الأناجيل وصفه سبحانه بأنه أبوه .
- ٣١- انفصل فى الملل والأهواء والنحل / ١ / ٣٠٧ - ٣٠٨ .
- ٣٢- انظر المزمور ٥٥ / ٩ - ١١ .
- ٣٣- فى الأصل : « موشاة » بالكسر . وهو خطأ . وكه فى لغة الكتاب المقدس من أخضاء وركاكات !
- ٣٤- نفظة « خير » هذه من الركاكات التى لا حصر لها فى العهد القديم . وهى فوق هذا خطأ . ذلك أنها إن كانت « أفعل تفضيل » كى تقبل مجيء « من » وراءها ، فيجب أن تصب حتى تكون صفة . أما إذا رفعت كما هى فى النص فحينئذ تكون اسماً لا صفة . ولا يصح حينئذ أن تتعقد بها مقارنة . ومن ثم لا تأخذ حرف الجر « من » .
- ٣٥- انظر « اليهودية » للدكتور أحمد شلبي / ٢١٣ .
- ٣٦- ول ديورانت / ترجمة محمد بدران / ١٥ / ١٦ . وانظر كذلك د. أحمد سوسة / مفصل لعرب واليهود فى التاريخ / ٥٧٥ / ٥٤ .
- ٣٧- مثل نظرى والجاحظ وابن حزم والقرفطى والبعثوبى وابن كثير وابن القيم والقرافى والمسعودى ورحمة الله النهدي والأنوسى ومحمد رشيد رت ومحمد الطاهر بن عاشور ... إلخ
- ٣٨- انظر د. صابر طعيمة / الأسفار المقدسة قبل الإسلام / ٧٤ - ٧٥ .

٢٩- انظر د . فؤاد حسين على / التوراة / ١٥ - ١٦ .

٤٠- تقول القصة الأولى إن أنتى لوط كانتا تعيشان مع والديهما فى مكان منقطع عن الناس فأشبهتهما الجماع والحمل فسقتا أباهما خمرا حتى سكر رنامتا معه الواحدة بعد الأخرى فى ليديين متتاينيس . أما الثانية فتتلخص فى أن يهوذا بن يعقوب قد زنى بأرملة ابنه . ونوط ويهوذا من أجداد داود (تكريين / ١٩ / ٢٠ - ٢٨ . و ٢٨ / ١٢ - ١٩) .

٤١- السموأل بن يحيى العفرى / إفحام اليهود / تحقيق د . محمد عبد الله الشرفاوى / ١٥١ - ١٥٣ .

٤٢- فى السفر المسمى -سمة فى العهد القديم لا يُذكر عزرا أبدا على أنه نبي . إنما هو كاهن وكاتب .

٤٣- انظر رموف أبو سعدة . من إعجاز القرآن - العلم الأعجمى فى القرآن مفسرا بالقرآن / ٢ / ٢٠٦ - ٢١٠ .

٤٤- د . أحمد شلبى / نيهودية / ٢٤٢ .

45- Dr. Salah Ed-dine Kechrid , Al-Qur'an al-Karim , p. 245 , n.1.

٤- هامان

وبالنسبة لهامان يروى الجاحظ أنهم يعدّون ما قاله القرآن عنه غلطاً في الأخبار ودليلاً على أن المسلمين يأخذون العلم عن غير الثقات ، إذ « هامان » الذي جاء ذكره في القرآن كان معاصراً لفرعون ، على حين أن هامان في العهد القديم كان يعيش في زمن الفرس (في عهد الملك أحتويرش) بعد فرعون بدهر طويل . وذلك ، كما يقولون ، « معروف عند أصحاب الكتب ، مشهور عند أهل العلم » .

وقد جاء في القرآن أيضا أن فرعون إنما أراد أن يبني صرخا ليصعد فيه ويرى الله . وهم يقولون إن فرعون إن كان كافرا بالله فما معنى اتخاذه صرخا ليرى شيئا لا يؤمن بوجوده ؟ وإن كان مقرا بوجوده سبحانه فإما أن يكون من المشبهة ، فكيف فاته أن من المستحيل بناء صرح ينفذ من السماوات السبع حتى يصل إلى العرش الإلهي ؟ وإما أن يكون من نفاة التشبيه ، فكيف يخطر على باله البحث عنه سبحانه في مكان بعينه ؟ وعلى أية حال فلم يكن فرعون مجنونا أو ناقص العقل حتى يفكر في هذا الأمر أصلاً (١) . ويرى القارىء أن أصل التهمة يقوم على أن الرسول عليه السلام

هو الذى آلف القرآن ، وأنه قد استقاده من الأخبار الملققة والروايات المضطربة التى لا يعرفها التاريخ . ونحن نقول إنه إذا انتفت نبوة محمد عليه الصلاة والسلام فلن تكون هناك نبوة أخرى جديرة بالتصديق ، فإن أخلاقه وصدقه وأمانته (برغم كل ما يرميه به الكافرون بدينه) هى أفضل وأزكى وأقوم مما يصف به كتاب القوم المقدس أنبياءهم ، فقد نسب إليهم هذا الكتاب الزنا والفجور وشرب الخمر والكذب والقتل وعبادة الأصنام والدياثة ومضاجعة المحارم ... إلخ . ويستحيل أن يدعوا شيئا من هذا عليه صلى الله عليه وسلم مجرد ادعاء .

وقد أشارت إلى هذا الاختلاف بين هامان فى العهد القديم وبين هامان فى القرآن الكريم « دائرة المعارف الإسلامية » فقالت فى طبعتها الأولى تحت عنوان « هامان » : « إن وضع محمد لهامان فى هذه الفترة (أى فى عهد فرعون) يفضح اضطراب معرفته للتاريخ ، ذلك الاضطراب الذى يوجد فى القرآن أمثلة كثيرة عليه . وفى الحقيقة فإن التلمود (Sanh. 106) والمدراس (Exodus R. 18) يحتويان على خطأ تاريخى مشابه ، إذ يجعلان بلعام وأيوب ويشرون جميعا أعضاء فى مجلس شورى فرعون ، الذى كان من رأيه التخلص من موسى . وهناك نص آخر فى المدراس (Num. R. 22) يصف هامان

وقارون بأنهما أغنى رجلين فى الدنيا « (٢) . أما فى الطبعة الجديدة التى مازالت تصدر حتى الآن فقد خفت حدة الهجوم على القرآن واختصرت المادة إلى حد كبير (٣). ولعل ذلك بداية التراجع عن انتقادهم للرسول الكريم عليه السلام والكتاب الذى أنزل عليه فى هذه النقطة .

كذلك أشار إلى هذا الاختلاف القسّ توماس باتريك هيوز فى كتابه « Dictionary of Islam » ، إذ قال : « يظن بعض النقاد الأوربيين أن محمداً قد جعل من هامان ، الذى كان وزيراً مقرباً إلى الملك أحشويرش وعدواً لليهود ، وزيراً لفرعون . ويقول الأخبار إن هذا الوزير هو قارون أو يثرون أو بلعام » (٤) .

ومازال القوم يظنون أنهم يستطيعون التشنيع بذلك على المسلمين وكتابهم ، فقد رذدت هذه التهمة مؤخراً رسالة نصرانية فى الهجوم على القرآن الكريم تحمل اسم المجلس الملى القبطى بالإسكندرية (٥) .

وقد أصبح معروفاً لكل مهتم بالكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى أن هذا الكتاب غير أهل للثقة ، إذ يختلط فيه الحابل بالنابل ، ويزدحم بالأخطاء، التاريخية والرياضية والعلمية ، ويعج بالمتناقضات حتى فى الصفحة الواحدة فى أحيان كثيرة . وقد أُلّف فى بيان ذلك ما لا يُحصى من الكتب والرسائل بأقلام مفكريهم ورجال

دينهم قبل غيرهم .

ولسوف أكتفى هنا بذكر بعض ما تنبعت إليه من هذه الأخطاء ،
والتناقضات فى سفر « أستير » ، وهو السفر الذى جاء فيه ذكر
هامان الفارسى وزير الملك أحشويرش . وهذه الملاحظات هى ثمرة قراءة
سريعة لهذا السفر .

وسوف أعتدى عن ركافة الأسلوب فى القصة ، وبالذات الفقرة
الأولى منها حيث تتعشكّل الجمل فى يد الكاتب وتتمزق خيوطها فيدور
حول نفسه يكرر ما سبق أن قاله كى تستقيم له العبارة بعض
الاستقامة ، وهيهات ! ولا يُعقل أن يكون مثل هذا الكلام الردى ،
الأسلوب وحيًا من عند الله . ولا يُعقل أيضا أن ينزل وحى سماوى
ببارك الدعارة والتوسل بها إلى غزو القصور الملكية واقتناص قلوب
الاباطرة والتفنن فى إسالة لعابهم وقودهم من أنوفهم للوصول إلى ما
يراد منهم من الأغراض السياسية . لا ، ليس يُعقل أن توحى السماء
لنبي (أو حتى لشيطان) مثل هذا الكلام !

ويتلخص سفر أستير فى أن أحشويرش ملك الفرس أراد من
زوجته أن تظهر معه فى أحد الأعياد كى يرى الناس أبهتها وجمالها
وزينتها . لكن الملكة رفضت ذلك ، فما كان منه إلا أن غضب عليها

وطلقها ، ونشر مرسومًا فى طول البلاد وعرضها بهذا . ثم زين له بعض رجال حاشيته أن يجمعوا كل من فى إمبراطوريته المترامية الأطراف من عذارى فائنات ليختار منهن من يرقن له . وكان من أولئك الفتيات أستير اليهودية ، التى بعد أن قضى معها الملك ليلة داعرة استحوذت على قلبه فقربها إليه وتزوجها . وكان هناك وزير لهذا الملك اسمه هامان اضطفن على مردخاى ابن عم أستير هذه دون أن يعرف بالقرابة التى بينها وبينه ، فأراد أن يهلك كل اليهود الذين بالبلاد . بيد أن مردخاى يتصل بأستير ويعلمها بالمصيبة التى ستحل باليهود ، ويدبر معها مؤامرة توقع بالوزير فى ما أراد أن يصنعه بمردخاى ، فيصلب هو وبنوه على نفس الخشبة التى كان قد أعدها لصلب ذلك اليهودى عليها . وينتفش اليهود فى البلاد ويعملون السيف فى الرقاب ويقتلون عشرات الآلاف ويجعلون من اليوم الذى بشموا فيه وارتووا من الدماء عيدًا لهم يحتفلون به فى كل عام . ويجعل الملك مردخاى رئيسًا لوزرانه واضعًا فى يده كل شىء .

والتعمل ظاهر فى القصة أشد الظهور . ومن ذلك أن للعدد « سبعة » سيطرة على سائر عناصرها : فالملك لا يفكر فى استدعاء زوجته لإبراز فتنتها وزينتها للناس إلا فى اليوم (السابع) من بدء

الاحتفالات بتولييه الحكم ، وعدد الخصيان فى قصر الإمبراطور سبعة ،
وعدد مستشارى الملك (أو ، كما يقول مؤلف القصة ، الحكماء
العارفين بالأزمنة) سبعة ، وعدد الفتيات اللاتى اصطفين للملك
اصطفاءً من بين آلاف العذارى الجميلات المجموعات من أنحاء المملكة
سبع . ثم إن أستير قد دخلت على الملك فى السنة السابعة من جلوسه
على العرش . وولايات الإمبراطورية مائة و (سبع) وعشرون ولاية .
ويظهر التعمل أيضا فى أن الملك ، حين يريد من زوجته الظهور
أمام الجمهور ، لا يكلمها بنفسه فى ذلك بل لا يرثبه مسبقا كما
تقضى به تقاليد الملوك ، بل ينبت هذا الخاطر فى دماغه فجأة بعد أن
لعبت الخمر بعقله ، أو بعبارة ملفق القصة : « لما طاب قلب الملك
بالخمر » . ليس هذا فحسب ، بل إنه لا يجد إلا خصيان القصر
ليرسلهم إلى الملكة كى تحضر ، وكأنها امرأة من عرض الطريق أو
بانعة فى السوق . ولا يخجل مؤلف القصة من القول بأن الملك إنما
أراد الإتيان بالملكة وعلى رأسها تاج الملك « ليرى الشعوب والرؤساء
جمالها ، لأنها كانت حسنة المنظر » . وهذه ليست عادة ملوك
الشرق ، وبخاصة فى ذلك الزمن القديم . وقد أبت الملكة أن تأتى ،
وحق لها . ولكن الملك ، على ما تقول القصة ، يستثيط غضبا .

وتظل حاشية السوء، توسوس له وتنفخ في أنفه مهولة في عينيه صنيع الملكة وموحمة له أنه إذا لم يطلقها فسوف تكون مثلاً سيئاً يغرى نسوة المملكة بعصيان أزواجهن والخروج على سلطانهم . فعلاً يطلقها الملك . وواضح ما يرمى إليه ملفق القصة . إنه يمهد الطريق أمام أستير لتعتلى العرش وتحكم أيدي قومها في رقاب الفرس ، الذين كان اليهود يعيشون بين أظهرهم . بيد أن أصول الفن القصصى تقتضى التشويق والتطويل والوصف المدغدغ للشهوات ، فنقرأ أن بعض رجال الحاشية اقترحوا على الإمبراطور أن تجتمع له من أنحاء البلاد بولاياتها المائة والسبع والعشرين كل عذراء جميلة كى ينتخب منهن واحدة تحل محل الملكة المطلقة . وللقارىء أن يتصور كم يبلغ عدد هؤلاء الفتيات ، وكيف سيكون زحامهن عندما يتجمعن كلهن في القصر قبل أن تُنتخب منهن سبع يدخلن على الملك واحدة بعد واحدة ، فى كل ليلة واحدة يقضى معها العاهل الليل بطوله ، وفى النهاية يقرر أيتها التى تصلح له .

ويقول مؤلف القصة إن الخصى الموكل بهذا الأمر كان ينفق سنة كاملة فى تهيئة الفتاة لقضاء ليلتها مع الملك : ستة أشهر فى تعطيها بزيت المر ، وستة أشهر بالأطياب والأدهان . وتفوز أستير دون الفاتنات

جميعًا بقلب الملك ويتخذها زوجة . وتكتم حقيقة يهوديتها عنه كما أوصاها مردخاى .

ويعلم مردخاى بمؤامرة كان يدبرها اثنان من خصيان الملك لقتله . وتبدو سذاجة القصة فى قولها إنه علم بذلك وهو جالس على أبواب القصر ، وكان باب القصر مكان يتجمع عنده كل عاطل ليس عنده عمل يشغله . ثم متى كانت المؤامرات تدبر على باب القصور ؟ بل كيف يفكر خصيان لا حول لهما ولا قوة ولا أتباع ولا عزوة فى قلب نظام الحكم فى إمبراطورية عريقة كإمبراطورية الفرس ؟

على أية حال فإن مردخاى يقوم بنقل السر إلى أستير ، التى تخبر بدورها الملك فيقبض على الخصيين ويحقق معهما ويصلبهما . وتدوّن الحادثة فى حوليات الملكة .

وكان هامان رئيس الوزراء ، عند دخوله على الملك أو خروجه من لدنه ، يسجد له حسب أوامر الإمبراطور الموظفون الذين يباب القصر . أما مردخاى فقد أصر على ألا يجثو أو يسجد ، رغم أنه مجرد أجنبى غريب ، وفوق ذلك يهودى مستضعف . ويمتلىء هامان غضبا ، ولكنه لا يفكر فى الانتقام من مردخاى وحده بل من يهود المملكة جميعًا ، ويعطيه الملك تفويضًا مطلقًا بعمل كل ما يريد بهم .

ويعلم مردخاي بالأمر . وكان المفروض أن يكون علمه به عن طريق الملكة ابنة عمه ، التي لابد أن يطلعها الملك على الأمر . أليست زوجته ؟ أليس الملوك يتحدثون عادة أول ما يتحدثون إلى زوجاتهم ؟ لكن معرفة مردخاي بهذا القرار لم يكن عن طريق أستير ، بل كان هو الذي أعلمها به . أمّا كيف توصل إلى إخبارها بما علم فتقول القصة إنه لبس مسحاً وذهب وهو يصرخ وينوح إلى باب القصر فرآته جواري الملكة وخصيانها ، الذين أسرعوا وحكوا لها ما شاهدوا وما سمعوا . وتخطط أستير ، بتحريض من ابن عمها ، لإحباط مؤامرة هامان والإيقاع به في نفس الشرك الذي كان قد نصبه لمردخاي وقومه . ويتصادف ، ويا للعجب ، أن يصاب الملك في ذلك الوقت بأرق لا يجد ما يذوده به عن نفسه إلا إحضار حوليات المملكة والقراءة فيها . ويتصادف أن يقرأ فيها قصة المؤامرة التي دبرها له الخصيان وكشف أمرها مردخاي . ويتذكر الملك عندئذ ، وعندئذ فقط ، أنه ينبغي مكافأة الرجل . ويتصادف أيضا عند ذلك ، ويا للعجب ، دخول هامان على أحشويرش ، الذي يبادره بالسؤال عما ينبغي فعله لرجل يسرّ الملك أن يكرمه . ويظن هامان أن الملك يقصده فيشير عليه بأن يلبسه ملابس السلطانية ويخلع عليه تاجه ويركبه على فرس تطوف به ساحة

المدينة وأمامه الخدم ينادون ، فيأمره الملك عندئذ أن يسرع فيفعل هذا
بمردخاي اليهودي . وللقارىء أن يعجب من الأسلوب الذى اتبعه الملك
فى إخبار وزيره بما يريد وكأنه يلعب لعبة « حاورينى يا قطيطة » ،
فيلف ويدور قبل أن يصارحه فى النهاية باسم الشخص المراد تكريمه .
إنها هى هى حبكة القصة الشعبى ، وبالذات كما نعرفه فى « ألف
ليلة وليلة » . ولا ننس أن « ألف ليلة وليلة » هى فى أصلها الأول
عمل فارسى هندى . وقد كان أحشويرش ، كما جاء فى قصة أستير ،
ملكاً على بلاد فارس والهند جميعاً .

وفى وليمة كانت أستير قد أعدتها لأحشويرش ومعه هامان
يعرض الملك عليها أن تطلب أى شىء تريد ، حتى لو كان ذلك نصف
المملكة ، كى يحققه لها فى الحال ، فتخبره بالحق الذى يكنه هامان
لشعبها ، فيقوم الملك مغتاطاً ويخرج إلى حديقة القصر تاركاً زوجته مع
وزيره ، الذى أكبَّ عليها يستعطفها على سريرها . وساعتها يعود الملك
فيجده على هذا الوضع فيظن أنه يراودها عن نفسها . وواضح مدى
السذاجة فى ترتيب أحداث القصة على هذا النحو الذى ينهى المؤلف به
الظروف لإيقاع النكال بالوزير . ويأمر الملك بصلب هامان وتمكين
مردخاي وشعبه من أعدانهم ، فيقتلون عشرات الألوف بما فيهم

الأطفال والنساء ، وفى مقدمتهم هامان وأبناؤه . ويستولون على أموالهم وممتلكاتهم . وهى نهاية تذكرنا بنهايات القصص الشعبية حتى إنه لم يبق إلا أن يقال : « وعاش اليهود فى تبات ونبات ، وخلفوا صبيانا وبنات ! » .

فهذه هى القصة التى يريد المعترضون على كتابنا أن يحاكموه إليها . إنها لا يمكن أن تكون وحيًا ، فليس من المعقول أن يكون موضوع الوحي مثل هذا القصص الجنسى ولا أن يكون أسلوبه بالركاكة التى أشرت إليها . وكذلك يمنع من الاطمئنان إليها كتاريخ ما فيها من تعمل زائد ومصادفات متكررة ومجافاة لمنطق العقل والأحداث . إن روح الحوادث وحبكتها الفنية واضحان فيها أشد الوضوح .

ويشكك د. أحمد شلبي فى هذه القصة ، مؤكدا أنها ليست من التاريخ فى شىء . « إنما هى أسطورة يرسم بها مؤلفها الطريق للنساء الإسرائيليات أن يتخذن من جمالهن وسيلة لخدمة بنى إسرائيل وخدمة أغراضهم » (٦) . ويعزز هذا الرأى ما لوحظ من أن عزرا ونحميا (وهما من أنبياء العهد القديم ، ولكل منهما فيه سفر قص فيه أحداث السبى البابلى) لم يشيرا إلى أستير ولا إلى شىء مما جاء فى السفر المسنى باسمها . كما أن هيرودوت ، مؤرخ الإغريق الذى عاصر

الإمبراطور الفارسي أحشوريش وكتب سيرة حياته وحكمه ، لم يذكر شيئا مما ذكرته هذه القصة (٧) . ويذهب بعض الباحثين إلى أن القصة يمكن أن تكون في الأصل أسطورة بابلية أخذها اليهود وحرفوها لتوائم أغراضهم ، إذ إن هامان هو اسم أحد الآلهة العيلاميين ، كما أن مردخاي هو اسم إله كلداني . أما اسم أستير فليس بعيدا أن يكون تحريفا للإلهة عشتار (٨) التي يُنطق اسمها أيضا « أشتار » و « أستير » و « عشترت » . ولعل هامان الوزير المصري الذي كان يساعد فرعون في اضطهاد بنى إسرائيل قد اختلط بشخصية ذلك الإله العيلامي القديم وخرجت من هذا المزيج تلك القصة التي يقصها علينا كاتب سفر أستير .

ولعل من المفيد أن نشرح للقارئ، كيف يوصى أجباز اليهود شعبهم بالاحتفال بعيد البوريم ، وهي المناسبة التي تقول هذه القصة إن الله قد نجى فيها اليهود وأوقع بأعدائهم على يد أستير ومردخاي . « يقول رب ربا Rab Raba إن على الإنسان أن يشرب في ذلك اليوم حتى لا يستطيع التمييز بين قولهم : ملعون هامان ، وملعون موردخاي » (٩) . وهي طريقة في الاحتفال تناسب تماما ما في القصة من جنس وخسر ومؤامرات سياسية تحيكها أيدي البغايا والقوادين .

وفى الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى نجد نساءً أخريات يقمن بنفس هذا الدور الذى قامت به أستير ، مثل يهوديت ، الأرملة الجميلة التى لها سفر باسمها كسفر أستير فى نسخة « العهد القديم » الكاثوليكية ، وسالموسى ، التى رقصت عارية أو شبه عارية لعمتها الوالى بتحريض من أمها الفاجرة حتى سال لعابه وفقد عقله وهو يراها بكل شبابها وفتنتها تتلوى أمام عينيه فقدم لها رأس يحيى عليه السلام على طبق حسبما أرادت كى يخلو الجوّ لها ولأمها للفجور مع ذلك العمّ النذل ، كما جاء فى العهد الجديد .

على أننا نحبّ أن ننظر أيضا فيما سجّله العهد القديم من أحداث الفترة التى سكن فيها بنو إسرائيل مصر منذ أن هاجر إليها يعقوب عليه السلام وأولاده إلى أن خرج موسى وقومه منها . ذلك أن هامان قد ورد ذكره فى القرآن الكريم فى آخر حلقة من حلقات سكتى الإسرائيليين فى مصر ، وهو ما ينكره المعترضون على كتابنا المجيد بحجة أنه لم يجىء له ذكر فى سفر « الخروج » فى العهد القديم ، فنريد أن ننظر فيما رواه كتاب القوم عن بنى إسرائيل فى بلاد الفراعنة لنرى مقدار ما فيه من استقامة أو انحراف ونعرف إلى أى مدى يمكن الركون إلى ما يقول واتخاذة مستندا تاريخيا يعول عليه .

وقد قرأت قصة بنى إسرائيل فى مصر كما جاءت فى العهد القديم قراءة سريعة فخرجت منها ببعض الأشياء التى يجب عرضها على القارىء، كى يكون على بينة من أمر كتابهم المقدس الذى يريدون أن يحاكموا القرآن إليه . وقبل أن أعرض ملاحظتى أسوق ما وجدته علامة الأندلس ابن حزم العظيم فى العهد القديم من خطأ فاحش وقع عند حساب المدة التى قضاها بنو إسرائيل فى مصر القديمة . وذلك أنهم يقولون إن قاهات بن لاوى بن يعقوب دخل مصر مع أبيه وجدته وعمره ١٣٣ سنة ، وإن عمران بن قاهات عاش ١٣٧ سنة ، وإن موسى بن عمران خرج مع بنى إسرائيل من مصر وهو ابن ثمانين سنة (١٠) . فلو افترضنا أن قاهات دخل مصر فى أول حياته ، وأن كلاً من عمران وموسى وُلد بعد وفاة أبيه لكان مجموع السنين التى قضاها بنو إسرائيل فى مصر من لدن دخول يعقوب إلى خروج موسى ٣٥٠ سنة ، على حين يقول العهد القديم إن مجموعها ٤٣٠ سنة (١١) ، بفارق ٨٠ سنة بين الحسابين . وحتى لو أضفنا السنوات التى قضاها يوسف بمصر قبل مجىء قومه ، وهى ٢٢ سنة (١٢) لظل هناك فرق ٥٨ سنة . وهذا بطبيعة الحال لو تصادف أن كان دخول قاهات مصر فى مبدأ حياته ، ووُلد كل من موسى وعمران كما افترض ابن حزم

بعد موت أبيه . وهى مسامحة شديدة من ابن حزم ، إذ يصعب جدا جدا أن يتحقق ذلك (بل هو لم يتحقق فعلا) فى الواقع ، وإلا فالفرق بين الحسايين أكبر من ذلك كثيرا . والقوم هم هم الذين ذكروا الحسايين ، لا أحد آخر . ويقول ابن حزم تعقيبا على هذا التناقض : « ولو لم يكن فى توراتهم إلا هذه الكذبة وحدها لكفت فى أنها موضوعة مبدلة من حمار فى جهله أو مستخف سخر بهم ولا بد » (١٣) .

وقد وجدت تناقضا فى تعداد بنى يعقوب الذين أتوا معه إلى مصر ، إذ قيل إنهم ٦٦ نفسا ، وفى السطر التالى لذلك مباشرة أنهم ٧٠ (١٤) . وهذا تناقض فاحش ، ويزيده فحشا أنه فى سطرين متتاليين . والحقيقة أن العدد الصحيح . كما لاحظ ابن حزم ، لا هو هذا ولا ذاك . إنما هو ٦٧ (١٥) . ويمكن القارى، التحقق من ذلك بنفسه لو قرأ الآيات ٨ - ٢٦ من الأصحاح السادس والأربعين من سفر « التكوين » .

كذلك يرتبك قارى، العهد القديم حينما يجد أن الأرض التى سكنها يعقوب وأولاده فى مصر هى أرض جاسان مرة (١٦) ، وأرض رعسيس مرة أخرى (١٧) .

وفى الأصحاح التاسع والأربعين من سفر « التكوين » تناقض آخر ، إذ جاء فى الآية ٢٨ أن يعقوب حين دعا بنيه إليه قبيل موته باركهم واحداً واحداً ، بينما كان كلامه لشمعون ولاوى فى نفس الأصحاح (آيات ٥ - ٧) على هذا النحو : « شمعون ولاوى أخوان . آلات ظلم سيوفهما . فى مجلسهما لا تدخل نفسى . بمجمعهما لا تتحد كرامتى . لأنهما فى غضبهما قتلنا إنساناً وفى رضاحما عرقبا ثورا . ملعون غضبهما فإنه شديد ، وسخطهما فإنه قاس . أتسمهما فى يعقوب وأفرقهما فى إسرائيل » . وهذا لعن لا مباركة . وقبيل ذلك وجه الحديث إلى رأوبين ، الذى زنى بإحدى سرارى أبيه (١٨) ، قائلاً : « ... فانرا كالماء ، لا تتفضل . لأنك صعدت على مضجع أهلك . حينئذ دنته . على فراشى صعد » . ولا أظن هذا من المباركة فى شىء . أما قوله عن رأوبين نفسه فى أول حديثه إليه : « رأوبين ، أنت بكرى وقوتى وأول قدرتى . فضل الرفعة وفضل العز » فهو كلام لا يمكن أن يخرج من فم نبي كريم إن صح ما يقوله العهد القديم عن اعتداء ابنه على عرضه ذلك الاعتداء ، الشنيع . إنما هو بكلام الديوثين أشبه ، وإلا فكيف يفتخر يعقوب هذا الافتخار بذلك الابن الفاجر المعتدى على عرضه ؟

وإذا قرأنا قصة ولادة موسى وما فعلته أمّه بعد أن لم تستطع الاستمرار في إخفائه عن عيون رجال فرعون الموكلين بقتل الرضع من بنى إسرائيل نجد أن كاتب القصة يقول إن أم موسى أخذت سفطا من البردى وطلته بالحُمر والزفت وأرقدت الطفل فيه ، ثم وضعت بين الحلفاء على حافة النهر ، حيث التقطته ابنة فرعون (١٩) . وواضح أن التابوت لم يَلقَ في الماء . وإنما لتساءل : فلم إذن طلته الأم بالحُمر والزفت ، وهما المادتان اللتان تُطلى بهما القوارب وما أشبه لمنع دخول الماء فيها حتى لا تغرق ؟ إن هذا ، لو صح أن السفط لم يَلقَ في الماء ، لهو تصرف يفترق إلى المنطق والحكمة . فإذا مضينا في القراءة فوجئنا بأن ابنة فرعون تسميه « موسى » وتقول : « إني انتشلته من الماء » (٢٠) . وهكذا يتبين لنا ، مما يقوله كاتب السفر نفسه ، أن السفط كان قد ألقى في النهر لا على الحلفاء النابتة على شطه . ومعنى هذا أن القصة تتناقض مع نفسها . أما القرآن فقد قال قولاً واحداً إن الله سبحانه قد ألهم أم الرضيع أن تلقى به في تابوت وتقدف بالتابوت في اليم (٢١) .

ومثل هذا التناقض نجده في اسم حمى موسى : فهو مرة رعونيل (٢٢) ، ومرة يشرون (٢٣) ، وذلك في عدة أسطر قلانل لا

غير ، ومرة ثالثة حوياب بن راعونيل (٢٤) ، وهذه الثالثة أطم وأدهى ، لأنه بهذه الطريقة قد أصبح ابن نفسه .

ونفس الشىء. نجده فى الاسم الذى سَمى به رب العزة نفسه لموسى كى يخبر به بنى إسرائيل ، وذلك حين سألَه موسى قائلاً : « فإذا قالوا لى : ما اسمه ، فماذا أقول لهم . فقال الله لموسى : أهيه الذى أهيه . وقال : هكذا تقول لبني إسرائيل : أهيه أرسلنى إليكم » . وفى الآية التالية مباشرة يكرر الله كلامه لموسى قائلاً : « هكذا تقول لبني إسرائيل : يهؤد إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلنى إليكم . وهذا اسمى إلى الأبد » (٢٥) . فهل هو أهيه أم يهؤد ؟ أليس ذلك مربكاً ؟ ثم أهدا هو الكتاب الذى يجعله القوم أساساً يقيسون به صحة ما جاء فى القرآن أو خطاه ، وبخاصة فى مسألة الأسماء ؟

وعند إخبار الله تعالى عبده موسى أنه قد اختاره نبياً يجعله كاتب سفر « الخروج » يعترض على هذا الاختيار الإلهى ويكلمه ربه على نحو غير لائق البتة ، إذ يقول : « اسمع أيها السيد . لست أنا صاحب كلام منذ أسر ولا من حين كلمت عبدك . بل أنا ثقيل الفهم واللسان » . وحين يطمئن ربه إلى أنه سيبعث معه هارون ليكله فرعون

بالنيابة عنه يمضى موسى فى الاعتراض الخشن قائلاً : « استمع أيها السيد . أرسل بيد من ترسل » . ويفترى كاتب القصة على الله قائلاً : « فحمى غضب الرب على موسى » (٢٦) . إن القصة بهذه الطريقة تصور موسى فى خطابه لربه وكأنه بدوى جلف يكلم بدويا جلفا مثله . ثم كيف يحمى غضب الله على من اختاره بنفسه نبيا لحمل رسالته ؟ وليس شئ ، من ذلك فى القرآن الكريم ، فصورة موسى ، مثل سائر الأنبياء ، هى الصورة التى تليق برسول الله أدبًا مع ربه وإخبارًا له ومعرفة بقدره وجلاله .

وعلى خلاف القرآن الكريم ، الذى يجعل من هارون نبيا مع موسى ووزيرًا وعضدا له (٢٧) ، يجعله كاتب سفر « الخروج » نبيا لموسى ، ويجعل موسى إلهًا له (٢٨) ، وكذلك إلهًا لفرعون (٢٩) . فما هذا الاضطراب ؟ وما هذا السخف ؟ بل ما هذا الكفر ؟

وفى سفر « الخروج » أيضا يأمر الله سبحانه موسى أن يدخل هو وشيوخ بنى إسرائيل إلى فرعون ويطلبوا منه أن يطلق سراح قومهم (٣٠) . ولكن بعد صفحتين اثنتين فحسب ينسى مؤلف السفر ذلك ويقول بدلًا منه إن الذى دخل على فرعون وطلب منه هذا هو موسى وهارون ، لا موسى وشيوخ بنى إسرائيل (٣١) .

ويشبهه هذا أن الله ، عند لقائه بموسى ، يأمره أن يصنع آيتى العصا واليد بنفسه ، وعند التنفيذ نجد أن هارون هو الذى يفعل هذا لا موسى (٣٢) ، وبناءً على أمر الله أيضا (٣٣) .

كذلك نجد نفس الاضطراب عند الكلام عن معجزة تحويل الماء إلى دم ، إذ يهدد موسى فرعون أنه سيضرب بالعصا التى فى يده على الماء الذى فى النهر فيتحول دما ويموت السمك الذى فيه وينتن النهر ، ثم يأمر الله عقيب ذلك موسى أن يجعل هارون هو الذى يصنع هذا (٣٤) .

وكان الله قد طلب من موسى أن يأخذ من ماء النهر ويسكب على اليابسة فيصير الماء الذى يأخذه من النهر دما على اليابسة (٣٥) . ولكن عند التنفيذ نجد أن هارون أيضا هو الذى يقوم بذلك ، لكن ليس على هذا النحو ، إذ ضرب هارون الماء الذى فى النهر فتحول كله دما ... إلخ . وهذا أيضا تناقض .

وجاء فى الأصحاح السابع من هذا السفر أيضا أن هارون أكبر من موسى بثلاثة أعوام (٣٦) ، رغم أن الأصحاح الثانى يقول عن ولادة موسى : « وذهب رجل من بيت لاوى وأخذ بنت لاوى ، فحبلت المرأة وولدت ابنا. ولما رآته أنه حسن خبأته ثلاثة أشهر . ولما لم

يمكنها أن تخبئه بعدُ أخذت سفظا من البردى وطلته بالحُمر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعت بين الحلقاء على حافة النهر . ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يُفعل به « (٣٧) ، وهو ما يُفهم منه أن موسى هو بكر أبويه ، أى أنه كان أكبر من هارون . وحتى لا يقول أحد : « لعل هارون لم يكن شقيق موسى » أبادر فأذكر أن أباهما واحد (وهو عمرا م) ، وأمهما واحدة (واسمها ، كما جاء فى العهد القديم ، يوكابد) (٣٨) .

وفى التسيبحة التى ترنم بها موسى وشعبه بعد غرق فرعون وجنوده فى اليمَ نسمعهم يصفون غرق أعدائهم قائلين : « هبطوا فى الأعماق كحجر » ، و « غاصوا كالرصاص فى مياه غامرة » (٣٩) ، وهو ما تكرر أيضا على لسان اللاويين فى سفر « نحميا » ، إذ قالوا فى مناجاتهم لربهم : « ورأيت ذل آبائنا فى مصر وسمعت صراخهم ... وفلقت اليمَ أمامهم وعبروا فى وسط البحر على اليابسة وطرخت مطارديهم فى الأعماق كحجر فى مياه قوية » (٤٠) ، وذلك رغم أن فرعون وجنوده لم يقتحموا الماء حتى يقال إنهم غاصوا فيه كحجر . بل الماء هو الذى غطاهم كما جاء فى العهد القديم نفسه (٤١) . أما القرآن الكريم فلا يقول إلا أنه قد « غشيهم من اليم ما

غشيهم « (٤٢) ، وهو ما يتسق مع الطريقة التي غرق بها أعداء
بنى إسرائيل كما وصفها كل من الكتابين .

ويقول سفر « الخروج » (٣٣ / ٢٠) : « قال (الرب
لموسى) : لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الإنسان لا يرانى ويعيش «
(وإن قيل عقب ذلك إن من الممكن أن ينظر موسى وراء الله بعد أن
يجتاز ، وكان لله خلفًا وقَدَامًا ، وظهرًا ووجهًا بالمعنى الحرفى للظهر
والوجه !) (٤٣) . ونسى كاتب السفر أنه قال فى موضع آخر إن الله
كان يكلم موسى « وجهًا لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » (٤٤) .
وهو ما أكدته سفر « العدد » ، إذ جاء فيه (١٢ / ٧ - ٨) :
« وأما عبيدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كل بيتى . فما إلى
فم وغيانًا أتكلم معه لا بالألغاز » ، وقاله موسى نفسه حسبما جاء
فى سفر « التثنية » (٥ / ٤) : « وجهًا لوجه تكلم الرب معنا
فى الجبل من وسط النار » . ليس ذلك فحسب ، بل رأى الله مع
موسى هارونَ ونادابَ وأبيهو وسبعون من شيوخ بنى إسرائيل : « رأوا
إله إسرائيل وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات
السماء فى النقاوة ... فرأوا الله وأكلوا وشربوا » (٤٥) . أما القرآن
الكريم فإنه يؤكد أنه لا موسى ولا بنو إسرائيل قد رأوا الله ، فقد

أصابته كما أصابتهم الصاعقة (٤٦) . وهذا هو اللانق بجلال الألوهية وعظمتها اللانهائية .

ومن شناع الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى قوله إن هارون عليه السلام هو الذى صنع العجل الذى عبده بنو إسرائيل أثناء غياب موسى أربعين ليلة حين ذهب لميقات ربه ، وإنه بنى مذبحًا لعبادة ذلك العجل أخذ الإسرائيليون يرقصون فيه عرايا وقد بانت سوءاتهم وتعزت أستاذتهم . وزاد كاتب القصة فنسب إلى هارون الكذب ، إذ ادعى لموسى أنه لم يفعل أكثر من أن طرح الذهب الذى جمعه من بنى إسرائيل فى النار فخرج العجل ، مع أن القصة تقول إنه هو الذى صنعه ونحته بالإزميل نحتا (٤٧) . ولكن القرآن يقرر أن الذى صنع العجل إنما هو السامرى ، وأن هارون قد رفض ذلك رفضا قاطعًا . ووقف فى وجه قومه ولكنهم لم يستمعوا له وكادوا أن يقتلوه (٤٨) . وهذا الذى يقوله القرآن هو ما يقبله العقل ويهش له الضمير ، إذ لا يمكن أن يُقدم نبى على صنع صنم وعبادته ، وإلا كانت النبوة عبثًا فى عبث . إن هارون بذلك الذى نسبه إليه مؤلف سفر « الخروج » بهتانًا وكذبًا يكون أول من خالف الوصايا التى تلقاها موسى على الجبل ليبلغها قومه : « لا يكن لك آلهة أخرى أمامى . لا تصنع لك

تمثالا منحوتا ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهم ولا تعبدهم . لأنى أنا الرب إلهك غيور » (٤٩) ، « لا تصنعوا معى آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب » (٥٠) .

على أن اضطراب القصة لا يقف عند هذا الحد ، فهى تقول إن موسى عليه السلام قد أمر بنى لاوى (الذين هو واحد منهم) أن يقتلوا جميع ذويهم وأصدقائهم وأهل بلدهم ممن اقترفوا خطيئة عبادة العجل ، وإن محصلة القتل فى ذلك اليوم كانت ثلاثة آلاف رجل (٥١) . ويتساءل أبو الأعلى المودودى بحق : « لم لم يقتل هارون إذا كان هو صاحب عبادة العجل ؟ لم لم يطلب بنو لاوى من موسى أن يقتل أخاه هارون ، الذى كان هو الأثم الحقيقى ، بالضبط كما طلب منهم أن يقتلوا إخوانهم ؟ » . إن الكتاب المقدس ، كما لاحظ المودودى أيضا ، يذكر أن موسى بعد هذه الواقعة رجع إلى ربه داعيا إياه أن يغفر لقومه خطاياهم أو يمحوه من كتابه ، فأجابه الله قائلا : « إن من أخطأ إلى أمحوه من كتابى » ، ومع ذلك لم يمح اسم هارون ، بل على العكس خلع الله عليه هو وأولاده وسائر ذريته مسؤولية الكهانة والقيام على المذبح (٥٢) . ويخلص المودودى من ذلك

إلى أن الكتاب المقدس يناقض نفسه بنفسه ، وأن الحقيقة هي ما قاله القرآن الكريم من أن هارون برى، تمامًا من صنع العجل ومن عبادته (٥٣) .

ويبدو غريبًا أشد الغرابة أن يقول الله عن نفسه حسبما جاء في أكثر من موضع بالعهد القديم : « أفنتقد ذنوب الآباء، في الأبناء، في الجيل الثالث والرابع من مبغضى » (٥٤) . والأغرب من ذلك أن يُذكر إلى جانب هذا قوله سبحانه عن نفسه أيضا : « غافر الإثم والمعصية والخطية » (٥٥) . إن هذا لا يتسق مع ذاك أبدًا . ونحن المسلمين نؤمن أنه سبحانه غفور رحيم ، وأنه إن عاقب فسيعاقب المخطئ، فقط ولا يحمل وزره وازرة أخرى ولو كانت ذات قربي . فهكذا قال القرآن الكريم ، وهو الذى يوافق العقل والكرم الإلهي .

وفى سفر « العدد » نقرأ أن هارون ومريم قد تكلمتا على أختيهما موسى « بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها فقالا هل كلم الرب موسى وحده . ألم يكلمنا نحن أيضا » ، وأن الله قد غضب عليهما . ثم نفاجا عقيب ذلك أن مريم قد عوقبت وحدها ، وكان عقابها إصابتها بالبرص (٥٦) . أليس غريبًا أن يجترح اثنان نفس السينة فيعاقب واحد فقط ؟ وأغرب من ذلك أن الله لا يعاقب هارون على

صنع العجل ، وهو كفر بواح ، ويعاقب مريم على ما لا يمكن أبدًا قياسه بذاك ، إذ هو إن صح لا يعدو غيراً بين الإخوة . وأين الكفر من الغيرة التي تكون بين بعض الإخوة والأخوات ؟

وينسب كاتب سفر « الخروج » الندم إلى الله سبحانه . ويجعل ندمه بناءً على أمر موسى له : « لماذا يا رب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة ... ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك ... فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه » (٥٧) . وكان الله قد غضب على بنى إسرائيل لعبادتهم العجل . ومع هذا ففي سفر « العدد » يقول بلعام عنه عز وجل : « اصع إلى يا ابن صفور . ليس الله إنسانا فيكذب . ولا ابن إنسان فيندم » (٥٨) . وهذا ، وإن كان هو الذي يليق بعظمته سبحانه ، يتناقض أيما تناقض مع النص السابق .

وبعد ، فهذه فقط بعض الأخطاء والسخافات والتناقضات والإحالات التي وقع فيها الكتاب المقدس في القصتين اللتين يريد المؤمنون به أن يحاكموا إليهما القرآن الكريم . وما من مرة وضعنا ما جاء في القرآن الكريم بإزاء ما قاله ذلك الكتاب إلا وشالت كفته ورجحت كفة القرآن .

إذن ، فلا معنى للاحتجاج بأن اسم هامان قد ورد في العهد القديم بصفته وزيراً لأحشويرش الفارسي ، لا وزيراً لفرعون كما جاء في القرآن الكريم . ومع هذا فسوف نغض الطرف عن كل ما مر كأنه لم يكن ، وسنفترض أن هامان كان فعلاً وزيراً للإمبراطور الفارسي ، فهل يمنع هذا أنه كان هناك هامان آخر قبل ذلك في مصر ؟ أم ترى هذا أمراً مستحيلاً ؟ ولكن ما وجه الاستحالة في ذلك ؟ لقد ورد هذا الاسم في أوراق البردي المصرية (٥٩) . كما كانت العلاقات بين مصر وفارس قائمة على قدم وساق في الزمن القديم مثلها في العصر الحديث ، فأى غرابة في أن يوجد اسم « هامان » هنا وهناك ؟ هذا إن كان الاسم واحداً ولم يكن لكل منهما اشتقاق مختلف ، مثل « بوسى » ، الذى كانت تسمى به أم البشر في أساطير الصين القديمة ، و « بوسى » ، الذى تسمى به كثير من الفتيات المصريات الآن .

ويعتقد محمد عزة دروزة أن اسم « هامان » الفارسي هو تحوير لاسم « آمون » الذى كان يتسمى به أو يُنسب إليه ملوك مصر ووزراؤها ، مشيراً إلى أن مصر في ذلك الوقت كانت خاضعة لسيطرة الفرس (٦٠) . ولرءف أبو سعدة رأى جد قريب من هذا ، إذ يقول إن

النطق الصحيح لاسم « آمون » هو « آمان » ، وإن « هامان » (الذى يرجّح أن يكون لقباً لكبير الكهنة فى مصر على عهد فرعون موسى لا اسماً لأحد الوزراء) هو لفظ مركب من اسم هذا الإله مسبقاً بكلمة « ها » ، التى تعنى « المدخل » ، فىكون معنى اللقب هو « النافذ إلى آمون » (٦١) ، أى المتصل به والوسيط بينه وبين من يعبدونه . وقد كان هامان اسماً كذلك لأحد الآلهة العيلامية كما مرّ بيانه . وبالمناسبة فـ « آمون » هذا هو أيضاً اسم ملك أورشليم ، ابن الملك منسى ، ووالد الملك يوشيا ، الذى يقال إن حلقيا الكاهن قد وجد نسخة من شريعة موسى فى عهده (٦٢) . فما قول المتكرين فى هذا ؟ أتراهم ينكرون ذلك الملك اليهودى أيضاً لهذا السبب ؟ ومن شعراء العرب المعاصرين من تسمى باسم « أدونيس » ، وهو اسم أحد الآلهة السورية القديمة ؟

ومن المصريين فى عصرنا من اسمه « حيرم » على اسم أحد ملوك صور القديمة . وكان فى حاشية الملك عبد العزيز آل سعود من اسمه « (رشاد) فرعون » . وقد كان اسم « الناصرى » لقباً للسيد المسيح عليه السلام ، حتى حكم جمال عبد الناصر مصر فأصبح كل واحد من أتباع خطه السياسى يسمى بـ « الناصرى » . كما أن لقب

« المسيح » قد أطلقه إشعيا من قبل على قورش ملك الفرس ، وكذلك لَقَّبَ به حزقيال ملك صور . وهناك كاتب مسرحى مصرى شهير اسمه « لينين » تمجيدا ، فيما نظن ، لقائد الثورة الروسية . وأذكر أن أحد الفلاحين المصريين قد وُلِدَ له طفل أيام العلاقات الوثيقة التى كانت بين عبد الناصر وخروشوف فسماه باسم هذا الأخير . ولا ننس أن زوجة جورباتشوف اسمها « ريسة » (تحريفًا لكلمة « رئيسة » العربية فيما قرأنا) . وأين امرأة روسية من مثل ذلك الاسم العربى ؟ وما لنا نمضى بعيدًا وقد كان من النصارى فى عصر الجاحظ من يتسمون بأسماء المسلمين بل بأسماء آل البيت كالحسن والحسين والعباس والفضل وعلى ويكتنون بها ، حتى إن الجاحظ قد سخر من ذلك قائلًا إنه « لم يبقَ إلا أن يتسموا بمحمد ويكتنوا بأبى القاسم » ؟ (٦٣) وقد أشار المقرئى أيضا إلى ظاهرة اشتراكهم مع المسلمين فى الأسماء والكُنَى (٦٤) . أما الآن فإنهم يكرهون أن يتسموا بذلك كراهية العمى .

وما أكثر الأسماء التى يُطَلَقُ كل منها على أكثر من بلد ، مثل « Cairo » (اسم « القاهرة » بالإنجليزية) الذى تسمى به عدة مدن فى مختلف أنحاء العالم ، و « باريس » ، الذى يطلق على العاصمة

الفرنسية وعلى قرية مغمورة فى إحدى الواحات المصرية على ما ذكر د. أحمد أمين فى كتابه « حياتى » ، و « مراغة » ، وهو اسم بلدة بكل من صعيد مصر وبلاد فارس ، و « طرابلس » ، الذى يُطلق على « طرابلس الشام » و « طرابلس الغرب » جميعا ، و « حلوان » فى كل من مصر والعراق . ولو رجع القارىء إلى « معجم البلدان » لياقوت الحموى مثلا فسوف يجد كثيرا من هذه الأسماء ، التى قد يطلق بعضها على ثلاثة مواضع وربما أكثر . ومن ذلك « آمد » و « أبوان » و « أبهر » و « الأثلة » و « برغوث » و « برقة » و « الجماهرية » و « السند » و « العين » و « الكرش » ... إلخ ... إلخ . وقد كان اسم « بابل » يطلق أيضا على روما وإمبراطوريتها قبل الإمبراطور قسطنطين أيام أن كانت تدين بالوثنية (٦٥) . وقد أشار إليها بذلك الاسم القديس بطرس فى نهاية رسالته الأولى . كما تكرر ذكر يوحنا اللاهوتى لاسم « بابل » فى رؤياه غير مقصود به بابل المعروفة (٦٦) . ولعلها أورشليم . وبابل ، حسبما يدعى مؤلف سفر « التكوين » ، هى المدينة التى أراد البشر بعد الطوفان بناءها ، لكن الرب حقد عليهم وعلى تجمعهم فى مكان واحد وتكلمهم لغة واحدة فبددهم فى أرجاء المعمورة وبلبل ألسنتهم (٦٧) . فما القول فى

هذا ؟ وفى كل من مصر والهند نجد كلية باسم « دار العلوم » . كما أن فى كل من بريطانيا وأمريكا جامعة باسم كمبردج .
وما القول أيضا فى أن بعض المصريين يتسمين بأسماء دول ، مثل فرنسا وأندلس وسورية ، وأن « فارس » من أسماء أعلام الذكور المشهورة بين العرب ، وهو فى نفس الوقت اسم « إيران » قديما ؟ وهناك نساء عربيات يفقن الحصر اسمهن « هند » على اسم شبه القارة الهندية . وكذلك توجد منتجة سينمائية مصرية اسمها « آسيا » ، وهو اسم القارة المعروفة .

ويتحدى أبو الأعلى المودودى الذين يخطنون القرآن لذكره هامان مع فرعون أن يقدموا قائمة بأسماء وزراء فرعون تخلو من اسم « هامان » ، وإلا فليس يحق لهم أن يعترضوا عليه (٦٨) .
وقد رأينا أن الحاخامات اليهود يجعلون وزير فرعون هذا واحداً من ثلاثة : قورح أو يثرون أو بلعام (٦٩) . فأما « قورح » فقد جاء ذكره فى سفر « العدد » فى العهد القديم على أنه واحد من تلك المجموعة من بنى إسرائيل التى نشزت على موسى وتحذته فحسف الله بهم وبدورهم وممتلكاتهم الأرض (٧٠) . وهو الذى جاء ذكره فى القرآن فى سورة « القصص » باسم « قارون » (٧١) . فإين قورح هذا من

الوزارة لفرعون ؟ وأما « يشرون » فقد رأينا أنه اسم حمى موسى ، وكان كاهنًا فى مديان . ويبقى « بلعام » ، وهو اسم الرجل الذى توسل إليه ملك مزاب ، على ما يقول كاتب سفر «العدد» ، لكى يلعن له بنى إسرائيل حين أشرف بهم موسى على بلاده بعد الخروج من مصر بسنوات ، فلم يرض أن يلعنهم بل باركهم (٧٢) . فما علاقة رجل مثل هذا بفرعون والوزارة ؟ كما رأينا أن التلمود والمدراس يجعلان بلعام وأيوب ويشرون أعضاء فى مجلس شورى فرعون (٧٣) . فأما بلعام ويشرون فقد عرفنا أنهما لم يكن لهما علاقة بفرعون ولا بمصر حسب كلام العهد القديم نفسه . وأشد من ذلك إغراقًا فى الخطأ القول بأن أيوب ، الذى ذكره العهد القديم نفسه بعد ذلك بأزمان طوال ، كان عضوًا فى مجلس الشورى الفرعونى . أى أن علماء اليهود وأمثالهم ممن يقيمهم أولئك المعترضون الذين ذكرهم الجاحظ حجة على القرآن قد وقعوا فى مثل ما اتهم به هؤلاء القوم الكتاب المجيد بل فى أشد منه . فلماذا التنطع إذن والرعوننة ؟

وقد رأينا كيف أن المدراس يقرن بين هامان وقارون (٧٤) ، مما يوحى بأنهما كانا متعاصرين . وهذا يقترب بنا مما جاء فى القرآن أشد الاقتراب .

وأخيراً نقول لهؤلاء المعترضين إن العهد القديم ، الذين تحاكمون القرآن إليه ، قد تنبأ ، فيما تزعمون ، بأن العذراء ستلد لله ابناً (هو المسيح كما قيل) وتدعوه « عمّانويل » (٧٥) . فهل سمى المسيح يوماً من قبل أى إنسان بهذا الاسم ؟ إنه لم يحدث قط أن دعت أمه أو غير أمه إلا بـ « يسوع » (« عيسى » فى العريّة) . بل إن كاتب « إنجيل متى » يكذب ما جاء فى « إشعيا » عن تسميته عليه السلام بـ « عمّانويل » ، إذ يقول ما نصّه عن مريم وحملها بعيسى : « فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع » (٧٦) . بل إن جبريل عليه السلام نفسه ، حسبما جاء فى لوقا (١ / ٣١) ، يبشرها بولادة عيسى قائلاً : « وهأنت ستحبلين وتلدن ابناً وتسمينه يسوع » . والطريف أن متى يعود فيقول عقيب ما نقلناه عنه أنفاً : « هذا كله لكى يتم ما قيل من الربّ بالنبى القائل هو ذا العذراء تحمل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمّانويل الذى تفسيره الله معنا » ، غير واجد أى تناقض بين ما قاله أولاً وما قاله لاحقاً ، مما يدل على أن الذين وضعوا هذه الكتب لم يكونوا يتمتعون بالحسن النقدى . ونعود فنؤكد أنه مع ذلك لم يحدث فى هذا الإنجيل ولا فى أى من الأناجيل الأخرى التى يقدها

النصارى أن نادى مريم أو أحد غيرها عيسى عليه السلام فى أى وقت
بـ « عمانويل » . فهل مازال المعترضون يصرون على تخطنتهم للقرآن
الكريم ؟

فهذا عن اسم « هامان » . أما استبعاد المعترضين أن يكون
فرعون قد فكر فى بناء صرح للاطلاع إلى إله موسى كما جاء فى
القرآن (٧٧) وقولهم إنه إن كان جاحداً بوجود الله فما معنى بناء
صرح مادام الله غير موجود فى اعتقاده ؟ فإرد أنه لجهله كان يظن
أن بُعد السماء عن الأرض لا يزيد عن ارتفاع صرح من الصروح . وأنه
باستطاعته البرهنة على عدم وجود الله بصعوده فى ذلك الصرح
والتحقق بنفسه من ذلك . وقد سمعنا فى عصرنا هذا ، وهو عصر
التقدم العلمى الجبار ، ما قاله جاجارين أول راند فضاء روسى عند
رجوعه من رحلته فى سفينة الفضاء ، من أنه لم يجد الله فى السماء .
يريد أن يقول إن الإلحاد ، الذى كان عقيدة بلاده فى ذلك الوقت ، هو
الدين الصحيح . فلماذا نستغرب من فرعون ، فى تلك الأزمنة المتقدمة
من التاريخ حيث لم يكن العلم قد قطع شيئاً من هذه الخطوات الجبارة
التي أنجزها فى عصرنا ، أن يفكر على هذا النحو ؟ ويرى عبد الله
يوسف على أن فرعون إنما كان يقصد السخرية بموسى والدين الذى

يدعو إليه (٧٨) .

هذا إن كان فرعون جاحداً ، أما إن كان مؤمناً مشبَّهاً فإن قول المعترضين إنه كان ولا شك يعلم أن ليس فى طاقة بنى آدم أن يبنوا بنيانا يخرق السماوات السبع والأجزاء التى بينها حتى يحاذى عرش الله هو قول عجيب ، إذ من أين لفرعون أن يعرف أن ثمة سبع سماوات وأن العرش فوقها ؟ إن جاجارين فى عصرنا لم يكن يعرف شيئاً من ذلك ، وإلاّ لما قال قولته التى ذكرنا قبل قليل . وليس فى العهد القديم ولا الجديد ما يدل على أن السماوات سبع . إنما ذلك فى القرآن الكريم ، وهو لم يكن قد نزل من السماء على عهد فرعون بطبيعة الحال . وإذا كان العهد القديم ، الذى يستند إليه أولئك المعترضون ، قد تكرر إظهاره لله على الأرض تحت بصر هذا الشخص أو تلك الجماعة ، فما وجه الغرابة فى أن يظن فرعون ، لو كان مؤمناً نافياً للتشبيهِه ، أن باستطاعته رؤية الله إذا صعد الصرح وأشرف على السماء ؟

إن موسى نفسه عليه السلام قد سأل ربه ، حسبما جاء فى العهد القديم ، قائلاً : « أرنى مجدك » ، فأجابه الله تعالى : « لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » (٧٩) . وقد

جاء فى القرآن الكريم عن موسى قوله يناجى ربه : « رَبِّ ، أَرْنِي
أَنْظُرْ إِلَيْكَ » ، فيأتيه الرد الإلهى : « لَنْ تَرَانِي ، وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى
الْجَبَلِ . فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي . فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعْقًا . فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : سُبْحَانَكَ ! تَبَّتْ إِلَيْكَ ، وَأَنَا
أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ » (٨٠) . ثم ألا يقول النصارى إن الله قد تجسّد فى
هيئة بشرية ونزل من عليانه وأصبح يحلّ فى هذا المكان أو ذاك وتخلو
منه سائر الأمكنة بل ويأكل ويشرب ويتغوط ويتبول وينام ويتعب
ويخاف ويسبّ ؟ وقد طلب المشركون من النبى على سبيل التحدى أن
يروا ربهم فقالوا : « لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَانِكَةَ أَوْ نَرَى رَبَّنَا » (٨١) .
فهل سيكذب أولئك المعترضون بهذا كله ؟ أليس هذا فى أقل القليل
يشبه ما جاء فى القرآن من قول فرعون إنه يريد أن يُبْنى له صرح
لعله يبلغ الأسباب فيطلع إلى إله موسى ، وإن كان اتهمه عليه السلام
مع ذلك بالكذب ؟

أما قول المعترضين إن فرعون إن كان كافراً فإنه لم يكن مجنوناً
حتى يقول ما قال عن الصرح والاطلاع إلى الله ، فإنه يدل على عدم
الفهم الصحيح للطبيعة البشرية ، وبخاصة نفسية الطغاة الجبارين . إن
كثيراً من هؤلاء ، قد ادّعوا لأنفسهم الألوهية ، ومن لم يدع منهم ذلك

كان يتصرف كأنه إله لا يخطئ، ولا يصح أن يعترض عليه معترض .
وكثيرا ما أورد هذا الصنف من الحكام بلاده وشعوبه موارد الهلاك
والدمار فدخلوا فى حروب لم يستعدوا لها فهُزموا هزائم مروعة وأفقروا
أممهم وأذلوها إذلالاً لا يخطر على بال . وعصرنا الحديث شاهد على
عددٍ لا بأس به من هؤلاء الجلادين . فأين كانت عقول هؤلاء، حينما
أتوا هذه الأفعال المجنونة ؟ وقد قرأنا كيف أن بعض الضباط الذين
يتولون تعذيب المساجين المتدينين فى بلد مسلم كانوا يقولون لهم إنهم
قد حبسوا الله فى الزنزانة المجاورة ! يريدون أن يفهموهم أن أحدا لا
يستطيع أن ينقذهم من أيديهم وليس أمامهم إلا اليأس والاستسلام
المطلق . فهل من الغريب بعد ذلك أن يقول فرعون ما قال وهو الذى
كان يزعم أنه إله ؟

الهوامش

- ١- انظر « رسائل الجاحظ » / ٣ / ٣٠٤ - ٣٠٥ .
- 2 - E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam , Vol. III , p. 245 .
- 3 - Encyclopaedia of Islam , New Edition , Vol. III , p. 110.
- 4 - Thomas Patrick Hughes , Dictionary of Islam , p. 160 .
- ٥- انظر د . عبدالجليل شلبي / رد مفتريات على الإسلام / ١٥٨ .
- ٦- د . أحمد شلبي / اليهودية / ٢٤٤ .
- ٧- عبدالجليل شلبي / رد مفتريات على الإسلام / ١٥٩ .
- ٨- السابق / ١٥٩ - ١٦٠ .
- ٩- ول ديورانت / قصة الحضارة / ترجمة محمد بدران / ٢٨ . وقد غيرت كلمة « موردكى » (التى وردت فى النص هنا) إلى « موردخاى » (الموجودة فى ترجمة العهد القديم) .
- ١٠- تكوين / ٤٦ / ٨ - ١١ . و ٥٩ / ١ وما بعدها ، وخروج / ١ / ١ - ٦ . و ٦ / ١٤ - ٢٠ . و ٧ / ٧ .
- ١١- خروج / ١٢ / ٤٠ - ٤٢ .
- ١٢- باع يوسف إخوته وهو ابن ١٧ سنة لرجل من مديان باعه بدوره لأحد المصريين (تكوين / ٣٧ / ٢) ، وجعله فرعون على خزانة الأرض وعمره ٣٠ سنة (تكوين / ٤١ / ٥٠) . ويضاف إلى ذلك سبع سنوات الخصب ، وستان من سبع سنوات الجذب (تكوين / ٤١ / ٤٧ . و ٤٥ / ٤ - ١١) .
- ١٣- ابن حزم / الفصل فى الملل والأهواء وأشهرها / ١ / ٢٥٢ - ٢٥٣ .
- ١٤- تكوين / ٤٦ / ٢٦ - ٢٧ . كما كرر فى موضع آخر (خروج / ١ / ١ - ١) أنهم سبعون .

- ١٥- انظر ابن حزم / الفصل / ١ / ٢٤٢ .
- ١٦- تكوين / ٤٦ / ٣٤ ، و ٤٧ / ٦ ، وخروج / ٨ / ٢٢ . ويذكر ابن حزم ،
بناء على الترجمة التي كان ينقل منها ، أنها قوص (الفصل / ١ / ٢٥١ ، ٢٥٢) .
- ١٧- تكوين / ٤٧ / ١١ ، وخروج / ١٢ / ٣٧ .
- ١٨- تكوين / ٣٥ / ٢٢ .
- ١٩- خروج / ٢ / ٢ - ٤ .
- ٢٠- خروج / ٢ / ١٠ .
- ٢١- طه / ٣٨ - ٣٩ ، والقصاص / ٧ .
- ٢٢- خروج / ٢ / ١٨ .
- ٢٣- خروج / ٣ / ١ ، وانظر كذلك نفس السفر / ٤ / ١٨ ، و ١٨ / ١ .
- ٢٤- عدد / ١٠ / ٢٩ ، وقضاة / ٤ / ١١ .
- ٢٥- خروج / ٣ / ١٣ - ١٥ .
- ٢٦- خروج / ٤ / ١٠ - ١٤ .
- ٢٧- الأنعام / ٨٤ - ٨٩ ، ومريم / ٥٣ ، وطه / ٢٩ - ٣٢ ، والقصاص /
- ٣٤
- ٢٨- خروج / ٤ / ١٦ .
- ٢٩- خروج / ٧ / ١ .
- ٣٠- خروج / ٣ / ١٨ .
- ٣١- خروج / ٥ / ١ ، وانظر كذلك نفس السفر / ٦ / ٢٦ - ٢٧ .
- ٣٢- خروج / ٤ / ٣٠ .

- ٢٣- خروج / ٧ / ٩ .
- ٢٤- خروج / ٧ / ١٤ - ١٩ .
- ٢٥- خروج / ٤ / ٩ .
- ٢٦- خروج / ٧ .
- ٢٧- خروج / ١ - ٤ .
- ٢٨- خروج / ٦ / ٢٠ . وعدد / ٢٦ / ٥٩ .
- ٢٩- خروج / ١٥ / ٥ / ١٠ .
- ٤٠- نحميا / ٩ / ٩ - ١٠ .
- ٤١- خروج / ١٥ / ٥ / ١٠ .
- ٤٢- طه / ٧٨ .
- ٤٣- يسخر ول ديورانت من ذلك قائلا إن إله اليهود « حبيبي » لا يسمح للناس أن يروا منه إلا ظهره » (قصة الحضارة / ترجمة محمد بدران / ٢ / ٣٤٠) .
- ٤٤- خروج / ٣٣ / ١١ .
- ٤٥- خروج / ٢٤ / ٩ - ١١ .
- ٤٦- البقرة / ٥٥ ، والأعراف / ١٤٣ .
- ٤٧- خروج / ٢٢ / ١ - ٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٤ .
- ٤٨- طه / ٨٣ - ٩٧ ، والأعراف / ١٤٨ - ١٥٢ .
- ٤٩- خروج / ٢٠ / ٣ - ٥ ، وثنية / ٥ / ٧ - ٩ .
- ٥٠- خروج / ٢٠ - ٢٢ .
- ٥١- خروج / ٢٢ / ٢٧ - ٢٩ .
- ٥٢- خروج / ٢٢ / ٢١ - ٢٢ ، وعدد / ١٨ / ١ - ٧ .

53- S. A. A. Maududi , The Meaning of the Qur'an , translated by

- ٥٤- خروج / ٢٠ / ٥ ، و ٣٤ / ٧ ، وثنية / ٥ / ١٠ .
- ٥٥- خروج / ٣٤ / ٧ .
- ٥٦- عدد / ١٢ / ١ - ١٠ .
- ٥٧- خروج / ٣٢ / ١١ - ١٤ . ويعلق ول ديورانت على إسناد العهد القديم « الندم » إلى الله تعالى قائلا : « كذلك لا يرى (الله) أنه معصوم من الخطأ . ويرى أن أشنع ما وقع منه من الأخطاء هو خلق الإنسان . ولذلك تراه يندم بعد فوات الفرصة على خلق آدم وعلى ارتضائه أن يكون شاول ملكا » (قصة الحضارة / ترجمة محمد بدران / ٢ / ٣٤٠) .
- ٥٨- عدد / ٢٣ / ١٨ - ١٩ .
- ٥٩- انظر د . عبد الجليل شلبي / رد مفتريات على الإسلام / ١٥٨ .
- ٦٠- انظر محمد عزة دروزة / تاريخ بني إسرائيل من سفارهم / ٢٨١ . ويلمح محمد حميد الله في ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم إلى مثل هذا الرأي . إذ يقول إن اسمه « هامان » يذكّرنا بـ « آمون » (Muhammad Hamidullah , Le Saint Coran , 1973 , p. 512) .
- ٦١- انظر رموف أبو سعدة / من إعجاز القرآن - نعلم الأعجمي في القرآن مفسرا بالقرآن / ٢ / ٥٨ - ٦٠ .
- ٦٢- أخبار الأيام الثاني / الأصحاحان ٢٣ - ٢٤ .
- ٦٣- رسائل الجاحظ / ٢ / ٣١٧ .
- ٦٤- انظر د . محمد زغلول سلام / الأدب في العصر المملوكي / ١ / ١٨٦ -

٦٦- رزيا يوحنا اللاهوتي / ١٦ / ١٩ . و ١٧ / ٦ . و ١٨ / ١٠ . ٢٢ .

٦٧- تكوين / ١١ / ١ - ٩ .

68 - Maududi , The Meaning of the Qur'an , Vol. IX , p. 74 .

69 - Thomas Patrick Hughes , Dictionary of Islam , p. 160 .

٧٠- عدد / ١٦ / ١ - ٣٥ .

٧١- القصص / ٧٦ - ٧٩ .

٧٢- عدد / الأصحاحات ٢٢ - ٢٤ .

73 - E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam , Vol. II , p. 295 .

74 - Ibid , p. 245 .

٧٥- إشعياء / ٧ / ١٤ . و ٩ / ٦ - ٧ . ومن المثير للدهشة أن العذراء

بعدها ولدت عيسى عليه السلام كانت تقول له إن آياه هو يوسف النجار . وبالمثل يجعله

لوقا ابناً له (لوقا / ٢ / ٤١ - ٤٨) . وكذلك متى في ذكر نسبه عليه السلام (متى /

١ / ١٧ - ١) . وهذا كله اضطراب وخبط شنيع ! وعلاوة على ذلك فمتى ولوقا . وجه .

تلذان أوردا سلسلة نسب المسيح . مختلفان حول هذه السلسلة وعدد الأجيال التي

تفضل بينه وبين جده داود : فهل هي واحد وأربعون جيلاً أو ستة وعشرون جيلاً فقط ؟

كذلك فهل يوسف النجار ، الذي يقول متى ولوقا إنه أبوه . هو ابن هالي ؟ أم هل هو ابن

يعقوب ؟ وعن طريق أى من أبناء داود ينتسب المسيح إلى ذلك النبي عليهما السلام ؟

عن طريق سليمان أم عن طريق أخيه ناثان ؟ ... إنج ... إنج . وبالمناسبة فإن داود .

حسب رواية العهد القديم . هو حفيد للوط ثم ليهود بن يعقوب عن طريق زنى الأول

بائنته وزنى الثاني بزوجة ابنه ثامارا . فإذا كان المسيح حفيداً لدواد فياله من نسب !

ونجدير بالذكر أنه في الوقت الذي يجعل هذان الكاتبان المسيح عليه السلام . في سلسلة

النسب اللتين ذكراهما . ابنا ليوسف النجار ولا ينسبانه إلى الله على أى نحو . نجد لوقا

يجعل هذه البتوة الإلهية لآدم عليه السلام .

٧٦- متى / ١ / ٢١ .

٧٧- القصص / ٣٨ ، وغافر / ٣٧ .

78 - A. Yusuf Ali , The Holy Quran . pp. 1013 , 1273 .

٧٩- خروج / ٣٣ / ١٨ - ٢٠ .

٨٠- الأعراف / ١٤٣ . كما ذكر القرآن الكريم أن بنى إسرائيل قالوا لنبيهم :

« أرنا الله جهرة » فأخذتهم الصاعقة (البقرة / ٥٥ ، والنساء / ١٥٣) .

٨١- الفرقان / ٢١ .

٥ - يحيى

كما شتّع النصارى على ما أخبر به القرآن الكريم من أن الله سبحانه قال لذكريا عند تبشيريه بولادة يحيى : « يا زكريا ، إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبلُ سمياً » (١) ، مؤكّدين أنه كان هناك قبله أكثر من واحد اسمه « يحيى » ، مثل يوحنا بن قارح (٢) . وقد جاء ، فى ترجمة لودفيج أولمان الألمانية للقرآن ، تعليقا على هذه الآية ، أنه كان قبل يحيى أشخاص عدة يحملون اسم « يوحنا » (٣) .

وهذا التشنيع يقوم على أن كلمة « سمى » تعنى بالضرورة « من كان له نفس الاسم » . إذ هم قد فهموا من الآية أن أحدا قبل الغلام الذى وهبه الله لذكريا لم يُسمَ باسم « يحيى » . والحق أن هذا ليس إلا أحد معانى الكلمة على ما ورد فى معاجم اللغة وكتب التفسير (والمعانى الأخرى هى : « المفاخر » و « النظير » و « السامى ») . ويمكن لمن يريد التحقق مما نقول أن يرجع إلى القواميس اللغوية . وأمامه عدة منها وضعها مؤلفون نصارى يستطيع أن ينظر فيها مثل « محيط المحيط » للبستاني ، و « المنجد »

لليسوعيين ، و « الرائد » لجبران مسعود .

وقد فسّر المفسرون « سمياً » فى الآية الكريمة بما يفيد أن يحيى عليه السلام لا يساميه أو يشبهه أحد ، أو أن أحداً قبله لم يسم باسمه . فمن الممكن جدا إذن أن يكون المعنى هو أنه لم يجىء قبل يحيى أى نظير له . وقد جاء فى « متى » على لسان عيسى عليه السلام : « الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » (٤) . وهو تقريبا نفس ماكتبه لوقا فى إنجيله على لسان عيسى أيضا : « لأنى أقول لكم إنه بين المولودين من النساء ليس نبى أعظم من يوحنا المعمدان » (٥) . فإن أرادوا أن ينكروا على القرآن قوله عن يحيى عليه السلام : « لم نجعل له من قبل سمياً » فلينكروا ذلك أيضا على أناجيلهم . وأنى لهم ذلك ؟ على أن القرآن يخلو من تناقض إنجيل متى ، الذى بعد أن قال إنه لم يجىء قبل يحيى عليه السلام من هو أفضل منه عاد فأضاف العبارة الآتية : « ولكن الأصغر فى ملكوت السماوات أفضل منه » ، وهو ما دفع ابن حزم إلى التعليق قائلاً : « تأملوا هذا الفصل تروا مصيبة الدهر فيهم وقرّة عيون الأعداء ، وقولاً لا يمكن أن يقوله ولا ينطق به صبى يترجى فلاحه ولا أمة وكفاء ، إلا أن تكون مدخولة العقل : أثبت أنه لم

يولد فى الأدميين أشرف من يحيى . وإذا كان كما زعم أن الصغير فى ملكوت السماء أكبر من يحيى ، فكل مؤمن يدخل ملكوت السماء ضرورة فهو أفضل من يحيى . فوجب من هذا أن كل مؤمن من بنى آدم فهو أفضل من يحيى ، وأن يحيى أرذل وأصغر من كل مؤمن . فما هذا الهوس ؟ وما هذا الكذب ؟ وما هذه العبارة السمجة فى الدين ؟ وكم هذا التناقض ؟ والله ما قال المسيح قط شيئا من هذه الرعونة ، وما قالها إلا الكذاب متى ونظراؤه ، عليهم اللعنة ! فلقد كانوا فى غاية الوقاحة والاستخفاف بالدين « (٦) .

ومع هذا فقد ورد فى الإنجيل المنسوب إلى لوقا : « وأما أليصابات (زوجة زكريا) فتم زمانها لتلد فولدت ابنا . وسمع جيرانها وأقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها ففرحوا معها . وفى اليوم التالى جاءوا ليختنوا الصبى وسموه باسم أبيه زكريا . فأجابت أمه وقالت لا بل يُسمى يوحنا . فقالوا لها ليس أحد فى عشيرتك تسمى بهذا الاسم . ثم أومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يُسمى . فطلب لوحا وكتب قائلا اسمه يوحنا . فتعجب الجميع » (٧) .

ويمكن أيضا أن تفسر الآية القرآنية بهذا المعنى . ولكن قد يقال إن القرآن قد أطلق القول حين أخبر أن أحدا قبل يحيى لم يسم

باسمه ، على حين أن لوقا قد حصر ذلك في عشيرة أليصابات . إلا أن من الجائز جدًا أن يكون ذلك هو قصد القرآن أيضا ، فقد جاءت هذه البشرية إثر ابتهاج زكريا لربه قائلا : « رب ، إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيئا ، ولم أكن بدعائك رب شقيا * وإنى خفتُ الموالي من ورائي ، وكانت امرأتى عاقرا ، فهب من لدنك وليا * يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله ربّ رضيا » (٨) . وواضح أن الكلام يدور حول عشيرة زكريا ، وهى نفسها عشيرة زوجته ، فمن الممكن أن يكون المعنى : « لم نجعل له من قبل (بين عشيرتك) سميا » . وهذا إن صحَّ أن أحدا قبل يحيى خارج عشيرته قد سُمى باسمه (٩) . لقد أشار المعترضون الذين أورد الجاحظ كلامهم إلى أنه كان يوجد قبله عليه السلام من اسمه يحيى ، ثم مثلوا بـ « يوحنا بن قارح » .

ولنا على ذلك عدة ملاحظات : أولا أن القرآن قال إنه لم يكن هناك قبله عليه السلام من اسمه « يحيى » ، أما أولئك المعترضون فقد ذكروا « يوحنا (بن قارح) » . فهل قصد القرآن « يوحنا » أو « يحيى » ؟ إذا وقفنا عند ظاهر النص على الأقل فالقرآن قد قال « يحيى » ولم يقل « يوحنا » . و « يحيى » مشتق من الحياة أو

الحياء ، أما « يوحنا » فيقولون إنه يعنى فى العبرية « كان يهود كريما » (١٠) ، وهذا غير ذاك . ثانيا : الشخص الذى ذكره المعترضون لم يكن اسمه « يوحنا (بن قارح) » بل « يوحانان ... » (١١) . قد يقال إن « يوحنا » هو اختصار لـ « يوحانان » (١٢) . لكننا ، إن تفاضينا عن الفرق بين « يحيى » و « يوحنا » وقبلنا أن القرآن قد قصد « يوحنا » ، نستطيع أن نرد بأن المقصود هو أن احداً قبله عليه السلام لم يتسم بهذه الصيغة الاختصارية لا بالصيغة الكاملة . وذلك كما نقول إن احداً قبل هذا الطفل لم يتسم بـ « بَلْبَل » ، فلا يجوز أن يعترض معترض بأن كثيرين من قبله قد تسموا بـ « نبيل » ، لأنه وإن كانت « بلبل » هى صيغة التدليل لـ « نبيل » فإنها مع ذلك ليست إياه . ولكن قد يقال إن اسم « يوحنا » (بهذه الصيغة الاختصارية) قد ورد فى سلسلة نسب المسيح حسبما أوردها لوقا (٣ / ٢٣ - ٣٨) . إلا أننا ينبغي أن نكون على ذكر من أن المسيح ، فى هذه السلسلة وكذلك فى السلسلة التى أوردها متى (١ / ١ - ١٧) ، هو ابن يوسف النجار (١٣) . وهذا كذب صراح ، ولا يقبله لا النصارى ولا المسلمون ولا اليهود : فأما المسلمون فلأنهم يؤمنون أنه عليه السلام قد وُلد دون

أب ، وأما النصارى (أقصد جمهورهم ، وهم المثلثون) فهم يزعمون أنه ابن الله ، بينما يقول اليهود إن مريم قد حملت به سفاخًا من أحد جنود الرومان على ما هو معروف (١٤) . كذلك فإن يوحنا هذا لم يرد له ذكر في السلسلة التي ساقها متى . وفضلاً عن ذلك فإن في أحد الأناجيل التي ترفضها الكنيسة أن مريم لم تكن مخطوبة ليوسف النجار ولا لغيره ، وإنما كانت معتكفة في المعبد لعبادة الله (١٥) . مما يتفق مع ما جاء في القرآن من أن أمها حين حملت بها قالت : « رب ، إنى نذرتُ لك ما فى بطنى محرراً فتقبَّلْ منى ، إنك أنت السميع العليم » ، وأن مريم بعد أن شبت كانت تلازم المحراب حيث كان زكريا كلما دخل عليها وجد لديها رزقاً من عند الله (١٦) ، ومن ثم فلا معنى للربط بين المسيح عليه السلام ويوسف النجار على أى وجه من الوجوه . أى أن السلسلة المذكورة فى « متى » و « لوقا » لا تبعث أبداً على الاطمئنان ، فكيف نشق إذن بأنه كان بين آباء يوسف النجار من اسمه يوحنا ، وبخاصة أن يوحنا هذا (كما أوضحنا قبيل قليل) لا وجود له فى سلسلة متى ؟

ثالثاً : أنه حتى لو ثبت فعلاً أنه قبل يحيى عليه السلام كان هناك من اسمه يوحنا ، فيمكن القول إن المراد أن أحداً من الأنبياء

السابقين عليه لم يتسمَّ باسمه (١٧) ، على أساس أن يحيى لم يكن
شخصا عاديا ، بل كان نبيا .

ورابعًا : من الممكن جدا أن يكون المقصود أن أحدًا قبله عليه
السلام ممن كان اسمه « يوحنا » (أو حتى « يوحانان ») لم يتحور
اسمه إلى « يحيى » ، إنما كان يحيى عليه السلام هو أول من حدث
لاسه ذلك .

وهذا كله على أساس أن « يوحنا » الذى سُمى به ذلك
النبي الكريم هو « يوحنا » الذى يتسمى به غيره . بيد أن أحد
الباحثين العارفين بالعبرية والمُطالعين على ترجمات الكتاب المقدس
بهذه اللغة وغيرها يقرّر أن يحيى عليه السلام لم يكن اسمه
« يوحنا » (بالألف) بل « يوحنى » (بالإمالة) ، وأن هذا
الأخير مكون من كلمتين : « يو » (أى الله) و « حنى »
(بمعنى « أخصر ») ، ومعناه : « الله أخصر » ، وهو ما أشار
إليه القرآن الكريم حين وصف النبي يحيى بأنه كان « حصورا » ،
والمقصود بذلك أنه كان يكف نفسه عن شهوة النساء مع وجود القدرة .
وهو من ثم يرى أن « يحيى » مشتق من الحياء (أى أنه كان
يستحي من التطلع إلى النساء) . كما يؤكد أن كتبة الأنجيل عندما

أثبتوا « يوحنا » بالألف إنما كانوا يجتهدون ، ولكنهم أخطأوا في
اجتهادهم (١٨) .

ومن هذا كله نرى أنه لا معنى لاعتراض النصارى على الآية .
وتكون الآية قد صيغت بهذه الطريقة الفذة لتعنى الأمرين جميعا : أن
يحيى لم يكن له من قبل نظير ، وأنه لم يتسم أحد باسمه (إمّا
باطلاق ، وإما من عشيرته ، وإما من أمثاله من الأنبياء ، وإمّا أن
أحداً من السابقين عليه ممن كان اسمهم « يوحنا » لم يتحور اسمه
في العربية إلى « يحيى ») .

وينبغي ألا يفوتنا أن هذه الآية قد قرئت ، ضمن صدر سورة
« مريم » ، على النجاشي وبطارقته عندما سأل ملك الحبشة ، رحمه
الله ، الصحابة الذين فروا إلى بلاده من اضطهاد قريش عما يقوله
القرآن في حق عيسى عليه السلام ، ولم تكن الآية محل دهشة أو
استغراب من أيهم (١٩) ، ودعنا من ملايين النصارى الذين أسلموا
بعد ذلك ولا يزالون .

الهوامش

- ١- مريم / ٧ .
- ٢- انظر " رسائل الجاحظ " / ٣ / ٣٠٥ . والملاحظ أنه لا يوجد للجاحظ ردّ على هذا الاعتراض في الرسالة التي بين أيدينا .
- 3- Ludwig Ullman , Der Koran - Das heilige Buch des Islam , S. 245 , n. 4.
- ٤- متى / ١١ / ١١ .
- ٥- لوقا / ٧ / ٢٨ .
- ٦- ابن حزم . الفصل في الملل والأهواء والنحل / ٢ / ٦٩ .
- ٧- لوقا / ١ / ٥٧ - ٦٣ .
- ٨- مريم / ٤ - ٦ .
- ٩- يرى صلاح العجماوى أن الإشارة في إنجيل لوقا إلى أن أحدا في عشيرة اليعصابات لم يسلم من قبل باسمه " يعيسى " إنما هي منقولة من القرآن الكريم . وحجته أنها لم ترد في الأنجيل الأخرى (انظر كتابه " جوهر الإيمان في صحيح الأديان - أهل الكتاب " / ٢ / ٣٩ ، ٤٩) . لكنه لم يبين لنا كيف حدث هذا النقل ولا متى تم . ثم إن هذه ليست التفصيلا الوحيدة التي ينفرد بإيرادها أحد الأناجيل دون غيره . كذلك فقد تكون هذه الإشارة موجودة في واحد أو أكثر من الأناجيل التي حاربتها الكنيسة ودمرتها أو أخفتها .
- 10- Basil Cottle , The Penguin Dictionary of Surnames , art . John , and Abdullah Yusuf Ali , The Holy Quran , 768 , n. 2461.
- ١١- ورد ذكر هذا الرجل في الأيسام الأول / ١٢ / ١٢ . والملوك الثاني / ١٥ / ٢٣ ، وأرميا / ٤٠ / ٨ ، و ٤١ / ١١ ، و ٤٣ / ٦ . واسمه . كما ورد عند

الجاحظ . هو يوحنا بن فرح . وواضح أنها تصحيف .

12- The Oxford English Dictionary . art. John .

١٣- فى تعليق محققى كتاب « الفصل » على قول ابن حزم : « متى الكذاب ينسب المسيح إلى يوسف النجار » (٢ / ٣٣) نراهما يقولان : « راجع إنجيل متى / الإصحاح الأول . وفيه : « أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا : لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وُجدت حُبلى من روح القدس . فيوسف رجلها إذ كان بارًا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا . ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا : يا يوسف بن داود . لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك . لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس ... إلخ » (الفقرات من ١٨ - ٢٤) . وهذا يخالف ما قرره ابن حزم (يقصدان قوله إن متى قد نسب المسيح عليه السلام إلى يوسف النجار) . فلعل الإنجيل قد تعرض لتغيير وتديل آخر « (الفصل / ٢ / ٣٣ / د ١٠٩) . والحقيقة أنه لا خلاف بين ما قاله ابن حزم وبين ما جاء فى متى . الذى أورد فى أول إنجيله سلسلة نسب المسيح . وفيها أنه عليه السلام ابن يوسف (انظر سلسلة النسب المذكورة فى أول « متى ») . وقد أوردنا ابن حزم وعلق عليها فى كتابه (٢ / ٢٧ - ٢٩ . ٣٣) . أما قول متى عقب ذلك إن مريم قد حبلت بعيسى من الروح القدس فهو تكذيب بسلسلة النسب المشار إليها . أى أن متى يناقض نفسه ويكذب نفسه بنفسه . وفى أسطر معدودات . ولكن هذه مسألة أخرى . وبالمُناسبة . فقد جاء اسم الروح القدس فى المرة الأولى فى النص المنقول عن متى هكذا : « روح القدس » . وهو سهو . إذ إنه هناك « الروح القدس » . أم « روح القدس » بدون « أل » فهو اسمه عند المسلمين .

١٤- انظر ول ديورانت / قصة الحضارة / ترجمة محمد بدران / ١١ / ٢١٤ .

وابن كثير / البداية والنهاية / ٢ / ٦٨ . ٧٠ . ٧٣ .

- ١٥- الإنجيل المشار إليه هو إنجيل متى غير المعتمد عند النصارى ، وهو غير إنجيل متى المقبول عندهم والموجود في العهد الجديد . انظر د . على عبدالرحمن وافى / الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام / ١٤ - ١٥ .
- ١٦- آل عمران / ٣٥ - ٣٦ .
- ١٧- وقد أشار إلى هذا المرحوم عبد الله يوسف على أيضا في ترجمته للقرآن إلى الإنجليزية (ص ٧٦٨ / هـ ٢٤٦٦) .
- ١٨- انظر رءوف أبو سعدة / من إعجاز القرآن - العلم الأعجمي في القرآن مفسرا بالقرآن / ٢ / ٢٣٤ - ٢٣٨ .
- ١٩- انظر سيرة ابن هشام / ١ / ٢٣٦ - ٢٣٧ .

٦- نبوة النساء

وذكر الجاحظ أيضا أن مما اعترضت به النصارى على القرآن قولهم إن الله يخاطب النبي قائلاً : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم ، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » (١) ، بما يفيد أن الأنبياء لا يكونون نساء ، على حين أن أهل الذكر (أى أهل الكتاب) ، الذين أمر الله العرب أن يسألوهم فى هذه المسألة ، يقولون إن الله قد بعث من النساء نبيات ، مثل مريم ابنة عمران وحنّة وسارة ورفقة (٢) .

والواقع أن معنى الكلام فى الآية هو أنه لم يحدث أن أرسل الله للناس رسولاً إلا وكان بشراً مثلهم ، فلم يحدث أن أرسل ملكاً . ذلك أن الكفار كانوا يتعنتون ويتظاهرون بالدهشة من أن الله قد بعث إليهم محمداً وهو بشر يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق (٣) ، وكانوا يقولون : « هل هذا إلا بشر مثلكم ؟ » (٤) ، كما طلبوا منه مرارا أن ينزل عليه أو معه ملك (٥) . وقد كانت تلك هى تعلات كفار الأمم السابقة التى يتعللون بها ضد الأنبياء المرسلين إليهم ، كما هو واضح من الآيات القرآنية المتعددة (٦) . لم يكن اعتراض كفار قريش إذن على أنه سبحانه قد أرسل رجلاً ولم يرسل امرأة ، وإنما كان

اعتراضهم على بشرية الرسول ، فكان ردّ القرآن في الآية التي استشهد بها المعارضون من النصارى هو أن الرسل الذين أرسلوا قبلك يا رسول الله كانوا مثلك رجالاً ، أى يجرى عليهم ما يجرى على البشر ، فهم يأكلون ويموتون (٧) .

ومع ذلك فقد يجيب هؤلاء المعارضون من النصارى وأمثالهم بأن القرآن كان يستطيع أن يقول مثلاً : « وما أرسلنا قبلك إلا بشرًا نوحى إليهم » بدلاً من كلمة « رجال » ، التي تدل على أن الرسل كانوا دائماً بشراً ذكوراً لا بشراً فقط . لكن فات هؤلاء أن « الرجال » ليسوا بالضرورة هم الذكور من الناس فقط بل يشملون النساء أيضاً . ذلك أن المرأة تسمى « رجّلة » (مؤنث « رجّل ») . أى أنه مثلما نقول : « امرؤ » و « امرأة » نقول : « رجّل » و « رجّلة » (٨) ، فكلمة « الرجال » إذن هنا معناها « البشر » . وهذا على أساس أن الله قد أرسل فعلاً رسلاً من النساء ، وهو ما سوف تناقشه بعد قليل .

ليس في وصف القرآن للرسل إذن بأنهم « رجال » ما يؤخذ عليه . إنما الشناعة في أن يوصف الله سبحانه في العهد القديم بأنه « إنسان » (٩) ، وأن يقال عن جبريل عليه السلام : « الرجل

ثم إن « أهل الذكر » المذكورين في القرآن هم أهل التوراة والإنجيل اللذين نزلا من السماء على موسى وعيسى ، لا الكتب المسماة بالعهد القديم والعهد الجديد ، وهى الكتب التى ألفت تأليفا وتجمع بين ما نزل من السماء مما حفظ عن موسى وعيسى عليهما السلام وبين ما أوحى به لمؤلفيها الشياطين . وأهل الذكر هؤلاء هم الذين دخل منهم الكثيرون فى الإسلام ولا يزالون يدخلون . وقد بين القرآن فى عدة مواضع منه أن أهل الكتاب قد زوروا كتبهم وكتبوا أشياء من عند أنفسهم وقالوا إنها من عند الله ، فكان ينبغى على أولئك المعترضين أن يعوا هذا وأن يعرفوا أنه سبحانه وتعالى لا يمكن أبدا أن يقصد بـ « أهل الذكر » هؤلاء الذين يؤمنون بتلك الكتب المزورة .

ومع ذلك فلننظر فى هذه الكتب لنرى ماذا تقول : فأما بالنسبة لسارة ، وهى أقدم النساء التى أشار إليها المعترضون ، فإن سفر « التكوين » ، وهو السفر الذى توجد فيه قصتها هى وإبراهيم وذريتهما ، لا يذكر أبدا أنها نبية أو رسولة ، ولا يشير إلى ذلك أدنى إشارة لا من قريب أو بعيد . وكذلك الحال بالنسبة لرفقة زوجة

ابنها إسحاق .

ومن يقرأ قصة إبراهيم وإسحاق وزوجتيهما حسبما جاءت فى سفر « التكوين » يستغرب أشد الاستغراب من جرأة أولئك الذين يريدون أن يجعلوه هو وأمثاله من أسفار الكتاب المقدس محكًا للقرآن الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهذه بعض الملاحظات السريعة على تلك القصة ، وهى كفيلة بأن يفقد القارىء الثقة بالسفر كله وبالكتاب المقدس أجمع :

من هذه الملاحظات أن الله قد ظهر لإبراهيم وابنه إسحاق عليهما السلام عدة مرات وعاشا بعدها لم يحدث لهما شئ (١١) ، مع أن العهد القديم ، كما رأينا فيما سبق ، يقول إنه ما من أحد يرى الله ثم يعيش بعدها . وذلك كله بغض البصر عن أن الله سبحانه لا تمكن رؤيته فى الدنيا .

ويجتريء مؤلف السفر على الذات العلية فيقول إن الله سبحانه حينما سمع شدة صراخ سدوم وعمورة بسبب كثرة خطاياهم قال : « إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدا . أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلى . وإلا فأعلم » (١٢) . وكان الله عز وجل لا يستطيع أن يتأكد من وقوع أى أمر إلا بعد أن يذهب

بنفسه ويشاهد بعينه ! فما الذى يبقى من الألوهية بعد هذا ؟ وما الفرق بينه وبيننا نحن البشر ؟

ويغفر الإنسان فاه دهشة مما ينسبه كاتب السفر إلى إبراهيم عليه السلام ، وهو النبى الكريم ، إذ يقول عنه إنه لما ذهب إلى مصر أوصى امرأته أن تنكر أنها زوجته ، حتى إذا حلت في عين فرعون أخذها دون أن يفكر في قتله (١٣) . وهى فعلة لا يأتيتها إلا ديوث ، وحاشا لأنبياء الله المصطفين أن يفكروا فيها بله أن يقدموا عليها . ولم يحدث هذا مرة بل مرتين ، وكانت المرة الثانية مع أيمالك ملك جرار (١٤) . ليس هذا فحسب ، فإن ابنه إسحاق عليه السلام ، على حسب ما جاء في هذا السفر أيضا ، قد كرّر ما صنعه أبوه من قبل ومع أيمالك نفسه أيضا (١٥) . فكان الديّاسة مما ورثه عن أبيه على حسب ما كتب القوم . استغفر الله !

ويقول كاتب السفر إن الله قد أمر إبراهيم قائلًا : « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المِريّا وأصعده هناك مُحْرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » (١٦) ، رغم أن إبراهيم كان له آنذاك ولدان : إسماعيل وإسحاق ، بل إنه رزق بإسماعيل قبل إسحاق بسنوات ، أى أن إسحاق لم يكن وحيد أبيه يوما من الأيام . فهذه

كذبة شنعاء ، ويزيدها شناعة أن تُنسب إلى الله سبحانه .

والعجيب أن إبراهيم ، حينما يأمره الله بذلك ، لا يجد فى الأمر ما يدعو إلى الاستغراب ، برغم أن الله كان قد بشره بأنه سيكون له من إسحاق هذا نسل (١٧) ، ولم يكن إسحاق حين أمر إبراهيم بذبحه إلا صبيا صغيرا لم يتزوج بعد . وكان ينبغى أن يسأل إبراهيم نفسه : كيف يأمرنى الله بذبح ابنى قبل أن يتزوج وتكون لى منه ذرية حسبما بشرنى ؟

ويتناقض كاتب السفر فى تفسيره لتسمية « بئر سبع » بهذا الاسم : فمرة يقول إن إبراهيم كان قد أعطى أيمالك سبع نعاج لكى تكون له شهادة بأنه حفر تلك البئر (١٨) ، ثم يعود بعد عدة صفحات فيقدم تفسيراً آخر مخالفاً لهذا كل المخالفة ، إذ قال إن عبيد إسحاق (بعد أن كان إبراهيم عليه السلام قد انتقل إلى جوار ربّه بزمن طويل) جاءوا وأخبروه عن بئر حفروها ووجدوا فيها ماءً ، فسّمى هذه البئر « شبعة » ، ولذلك سميت المدينة باسم « بئر سبع » (١٩) ، أى على اسم البئر المذكورة .

وفى هذا السفر أيضاً أن يعقوب (بن إسحاق ورفقة) يشترط على الله لكى يؤمن به أن ينجيه من معاطب الطريق ويعيده إلى بيته

سالمًا ويرزقه المطعم والمليس (٢٠) . فانظر إلى هذا الإيمان المشروط !
 ويزيد الأمر عجباً أن يُنسب ذلك إلى نبيّ ابن نبيّ !
 وفيه أيضاً أن الله قد تجلّى له فى الطريق فاشتبكاً معاً فى
 صراع طويل ومرير حتى طلوع الفجر وأن يعقوب قد أمسك به سبحانه
 إمساكاً لم يستطع أن يتخلص منها إلا بعد أن جمع كل قوته وضربه
 على حُقّ فخذّه بعزم اليانوس الذى لم يكن يصدق بالنجاة من
 غريمه (٢١) .

ثم كيف تكون نبيةً من تحقد على ابن ضرّتها كل ذلك الحقد
 الذى دفع سارة إلى أن تطلب من إبراهيم أن يطرد هاجر وابنها
 إسماعيل ويحرمه من الميراث ويجعله كله لابنها إسحاق ظلماً وعدواناً ؟
 وقد كان لها ما أرادت (٢٢) .

أم كيف تكون نبيةً من ترسم ، كما رسمت رفقة ، لأحد ابنيها
 خطة كذب وغدر وسفالة ليسرق لنفسه البركة التى كان أبوه سيعطيها
 لأخيه الأكبر فتتسبب فى حقد متأجج بين فلذتى كبدها لا يخبو مع
 الأيام ؟ (٢٣) إن هذه ليست أخلاق الأنبياء حتى لو كنّ من الجنس
 اللطيف ! ثم إنه لم يكن هناك أى سبب من شأنه أن يدفع تلك
 « النبية » المزعومة أن تصنع ما صنعت ، بل الأمر كله لا يعدو أن

يكون نزوة سخيفة حمقاء ، لا يمكن أن تقع فيها أى أم عندها مسكة
من عقل فضلاً عن نبية !

فهذا عن النبوة المزعومة لسارة ورفقة . ونأتى إلى مريم بنت
عمران . ولست أظن أن المقصود أم المسيح عليه السلام ، فالنصارى لا
يسمونها مريم بنت عمران ، بل يعترضون على القرآن لذلك ، قائلين إنه
يخلط بينها وبين مريم أخت موسى وهارون ، وإن اسم أيها هو
يواقيم ، فضلاً عن أنهم ، فيما نعرف ، لا يقولون بنبوة مريم أم
عيسى . إنما المقصود مريم أخت موسى وهارون عليهما السلام ،
فأبوهم هو عمram (« عمران » فى اللغة العربية) على ما مرَّ
بيانه . وقد وردت إشارة إلى نبوة مريم هذه فى سفر « الخروج » من
العهد القديم ، إذ جاء فيه النص التالى فى سياق حكايته لفرق فرعون
وجنوده فى اليمّ ونجاة بنى إسرائيل : « فأخذت مريم النبية أخت
هارون الدّف بيدها . وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص
وأجابتهن مريم . رنّوا للرب فإنه قد تعظّم . الفرسُ وراكبه طرحهما فى
البحر » (٢٤) . وهذه ، فيما أعرف ، هى الإشارة الوحيدة إلى نبوتها
فى العهد القديم .

وإنه لغريب جدّ غريب ألا يُذكر لتلك النبوة المدّعاة عمل

إلا الدق على الدف لضبط الإيقاع للراقصات ! ترى أهذه نية أم « عالمة » رقاقة ؟ وأين يا ترى نحن ؟ أفى ملهى ليلي أم فى حضرة أنبياء ؟ إن مكان هذه المرأة المناسب هو ثلاثية نجيب محفوظ لا كتاب يقول أتباعه إنه مقدس وموحى به من السماء !

ثم نلتقى مع مريم هذه ثانية فى سفر « العدد » . وليس الموقف الذى سنقابلها فيه أفضل كثيرا من سابقه . وإذا كانت فى الموقف الماضى تمسك بالدف لتوقع عليه لمجموعة الراقصات فإنها هنا تغتاب أخاها موسى وتحقد عليه : « وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها . لأنه قد اتخذ امرأة كوشية . فقالا هل كلم الرب موسى وحده . ألم يكلمنا نحن أيضا . فسمع الرب . وأما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » . وقد غضب الله عليهما لذلك ، وإن كان قد عاقبها وحدها (ولا ندرى السبب فى هذا) وضربها بالبرص ! (٢٥) ونتساءل مرة أخرى : أيمكن أن تكون مثل هذه المرأة نبية ؟ لقد هزلت النبوة هزالاً قبيحا إذن حتى سامها كل مفلس ! وأحب أن يعرف القارىء ، أنه لم يحدث أن كلم الله هارون . وفوق ذلك فهارون ليس نبيا من أنبياء الله فى العهد القديم ، إنما هو نبى

لموسى (٢٦) . وموسى هو الذى كان يصدر إليه الأوامر بوصفه إلهًا له . وقد مرّت الإشارة إلى ذلك . كما لم يُذكر فى أى موضع من العهد القديم أن الله قد كلّم مريم ، على عكس ما يقول كاتب سفر « العدد » فى النصّ الذى مرّ آنفاً . ولم يرد البتة فى العهد القديم أن مريم هذه قد بلغت عن ربها لأحدٍ شيئاً . ثم إن الله سبحانه لا يعاقب أنبياءه ، بله يضرهم بالبرص .

وتبقى حنة . وهى حنة بنت فنوئيل ، التى يقول عنها لوقا فى إنجيله : « وكانت نبيّة حنة بنت فنوئيل من سبط أشير . وهى متقدمة فى أيام كثيرة . قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها . وهى أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً » (٢٧) . وكما ترى فليس فى النصّ (ولا فى أى مكان آخر من لوقا أو غيره من الأناجيل) كيف أصبحت هذه المرأة نبيّة . إنما هو مجرد ادعاء ، ليس غير . بل إنّ النصّ نفسه ليكذب هذا الادعاء ، إذ فيه أنها لم تكن تفارق الهيكل وأن كل ما كانت تفعله هو الصوم والصلاة ، فأين ومتى وكيف كانت تمارس مهام النبوة المزعومة ؟ إن القرآن يقول : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم » ، بما يفيد أن المسألة ليست مجرد إلهام أو وحى ، إنما

هى رسالة يرسل الله بها رجالاً إلى أقوامهم ، فليدلنا من يكذبون القرآن على امرأة (امرأة واحدة) قد أرسلها الله إلى قومها .

وإذا كانت الكهانة فى الشريعة اليهودية ، كما هو معروف ، مقصورة على الذكور وحدهم من بنى لاوى ، فكيف يمكن أن يكون باب النبوة مفتوحا على مصراعيه للرجال وللنساء على السواء رغم أن النبوة أهم وأخطر من الكهانة بمراحل ؟ بل إنه حينما اختار موسى سبعين من كبار قومه ليذهبوا معه إلى خيمة الاجتماع حيث يقفون هناك وينزل الله ويتكلم معهم ويأخذ من الروح الذى على موسى ويضع عليهم حتى يحملوا معه ثقل الشعب ولا ينفرد هو وحده بهذا العبء ، كان أولئك السبعون كلهم رجالاً بحسب الأمر الإلهى كما جاء فى سفر « العدد » . وقد حدث حين نزل الله سبحانه فى سحابة وتكلم معهم وأخذ من الروح الذى على موسى ووضع عليهم أن « تنبأوا » جميعاً ، حسبما جاء فى السفر المذكور (٢٨) .

وفى الحقيقة فإنه يصعب علينا تماماً أن نتصور امرأة مرسله لهداية الناس وقيادتهم . إن المرأة بطبيعتها ضعيفة المنة ، وتتعرض للحيض والحمل والولادة والنفاس ، وتخضع لزوجها وبخاصة فى بلاد الشرق حيث ظهرت أولئك النبيات فى زعم المعترضين ، فكيف يمكنها

أن تقوم بوظيفة الرسالة بجلالها وقديستها وتبعاتها الثقال التي لا يقدر عليها إلا الأفاضل أولو العزم من الرجال ؟ أليس مضحكاً أن تتخيل نبية حانضاً أو حاملاً قد برز بطنها للأمام فهي تتأود وتضع يديها على خاصرتيها وتتقايأ ، أو وهي تضع وليدها وصراخها يبلغ عنان السماء ؟ وماذا تفعل إذا أمرت أن تبَلِّغ للناس وحياً مما ينزل عليها فاعترض زوجها ونهاها عن الخروج من البيت مهدداً إياها بالطلاق ؟ إننى هنا لا أتنبأ ، فإن الشريعة اليهودية مثلاً تشترط موافقة الأب على نذر ابنته ، والزوج على نذر زوجته ، وإلا فلا نذر عليهما (٢٩) .

وإن من يعرف أحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالمرأة عند ولادتها وحيضها ليستغرب أشد الاستغراب مما جاء فى الكتاب المقدس عن وجود نساء نبيات . إن الطمّث عند اليهود يمتد سبعة أيام ، وكل من يمس المرأة فى هذه الأثناء يظل نجساً إلى المساء ، وكذلك كل ما تضطجع أو تجلس عليه . بل إنه إذا مس أحد فراشها فإنه يكون أيضاً نجساً حتى المساء ، وعليه أن يغسل ثيابه ويستحم . ويسرى هذا الحكم أيضاً حتى لو لم يكن الدم الذى يسيل من المرأة دم حيض . وعندما تطهر المرأة من دمها فإنها تبقى سبعة أيام أخرى قبل أن تطهر ، وفى اليوم الثامن تأخذ ذبيحة خطية وذبيحة محرقة وتذهب

بهما إلى باب خيمة الاجتماع حيث تبقى هناك ولا تدخل ، فتسلمهما للكاهن ليكفر بهما عنها من سيل نجاستها. كذلك فإن الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة ينجسهما إلى المساء . أما الولادة فإنها تنجس المرأة أسبوعاً إن كان المولود ذكراً ولا تمس حينئذ شيئاً مقدساً ثلاثة وثلاثين يوماً ، وأما إن كان المولود أنثى فتنجس الأم لمدة أسبوعين ولا تمس شيئاً مقدساً ستة وستين يوماً (٣٠) .

إن النبوة في الكتاب المقدس تبدو في كثير من الأحيان وقد خلت من مضمونها الذي نعرفه : فنوح مثلاً يسكر حتى يفقد وعيه وينطرح على الأرض وتتعرى سواته أمام كل من هبّ ودب . وإبراهيم يتنازل عن امرأته مرتين لفرعون وأبيمالك ، ولولا تدخل السماء في اللحظة الأخيرة لاضطجع معها ذاك العاحلان . ومريم تضرب بالدف للراقصات وتحقد على أخيها وتغتابه ، ويضربها الله بالبرص . وشاول (وكان في عهد داود) عندما يتنبأ يخلع ثيابه وينطرح عرياناً نهاره كله وليله أمام الناس (٣١) .

والأنبياء ، يظهرون في نفس الوقت وفي نفس الموضع جماعات جماعات ، وقد يتنبأون على أنغام الرباب والدف والناي والعود (٣٢) ، حتى ليقول العقاد بحق إن شأن الأكثرين منهم لا يزيد على شأن

الدرأويش والمجاديب الذين يباركون الأطفال ، ويشفون المرضى ،
ويتفوهون بالأقاويل التي تقبل التأويل على كل وجه حسبما يرتاح إليه
السامع ، ويعيشون على الفضلات التي يلقيها إليهم الناس (٣٣) .
ولا يميز كتابُ العهد القديم بين الأنبياء الصادقين والأنبياء
الكذبة ، فكلهم عندهم أنبياء (٣٤) . أما في الإسلام فالنبيّ شيء ،
والمتنبيّ شيء آخر .

نخلص مما مرّ إلى أنه لا يحقّ للمعتريين أن يكذبوا ما جاء
في القرآن من قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى
إليهم » ، فقد بيّنا أن « رجالاً » في الآية تعنى « بشرًا » ، وهو
ما لا يمكن أن يعارضه أحد ، إذ ليس في تاريخ النبوات أن الأنبياء
كانوا في يوم من الأيام ملائكة . ثم إننا لم نكتف بهذا ، بل أوضحنا
أن الله لا يمكن أن يكون قد « أرسل » رسلاً من النساء . وليس في
العهد القديم نبيات مرسلات . أما إن كان المقصود مجرد الإلهام أو
الوحي لبعض النسوة بتطمين أو بشارة ، كما هو الحال مع أم موسى
وأم عيسى عليهم جميعاً السلام ، فذلك شيء آخر لم تنفه الآية ، بل
تحدث القرآن عنه .

وعلى هذا فإن كلمة « رجالاً » (في الآية التي نحن

بصدها) تدل فى نفس الوقت على أن الأنبياء الذين « أرسلهم » الله
لهداية العباد وقيادتهم كانوا بشرًا ، وكانوا رجالاً لا نساء . وهذا من
أسلوب القرآن الفذ ، إذ إنه بكلمة واحدة قد أصاب المعنيين جميعًا .

الهوامش

- ١- النحل / ٤٣ ، والأنبياء / ٧ .
- ٢- رسائل الجاحظ / ٣ / ٣٠٥ - ٣٠٦ .
- ٣- الفرقان / ٧ ، ٢٠ مثلا .
- ٤- الأنبياء / ٣ .
- ٥- الأنعام / ٨ ، وهود / ١٢ ، والإسراء / ٩٢ ، ٩٤ ، والفرقان / ٧ .
- ٢١ . والزخرف / ٥٣ .
- ٦- مثلا هود / ٢٧ ، وإبراهيم / ١٠ ، والمؤمنون / ٢٤ ، ٣٣ ، والشعراء / ١٥٤ ، ١٨٦ . وفصلت / ١٤ ، والقمر / ٢٤ .
- ٧- الأنبياء / ٧ - ٨ . وانظر الآية / ٣٤ من نفس السورة .
- ٨- انظر مثلا مختار الصحاح والمنجد والمعجم الوسيط / مادة « رج ل » .
- ٩- تكوين / ٢٢ / ٢٤ - ٣٠ .
- ١٠- دانيال / ٩ / ٢١ .
- ١١- تكوين / ١٢ / ٧ ، و ١٧ / ١ ، و ١٨ / ١ ، و ٢٦ / ٢٤ .
- ١٢- تكوين / ١٨ / ٢٠ - ٢١ .
- ١٣- تكوين / ١٢ / ١٠ - ٢٠ .
- ١٤- تكوين / ٢٠ / ١ - ٧ .
- ١٥- تكوين / ٢٦ / ١ - ١١ .
- ١٦- تكوين / ٢٢ / ٢ .
- ١٧- تكوين / ١٧ / ١٩ ، و ٢١ / ١٢ .
- ١٨- تكوين / ٢١ / ٢٥ - ٣١ .

- ١٩- تكوين / ٢٦ / ٢٢ - ٢٣ .
- ٢٠- تكوين / ٢٨ / ٢٠ - ٢٢ .
- ٢١- تكوين / ٣٢ / ٢٤ - ٣٠ .
- ٢٢- تكوين / ٢١ / ٩ - ١٠ .
- ٢٣- تكوين / الأصحاحان ٢٧ - ٢٨ وما بعدهما .
- ٢٤- خروج / ١٥ / ٢٠ - ٢١ .
- ٢٥- عدد / ١٢ / ١ - ١٠ .
- ٢٦- فيما عدا هذه الإشارة إلى نبوته لموسى فإنه عليه السلام لا يُذكر في العهد القديم إلا بوصفه كاهنًا لا غير .
- ٢٧- لوقا / ٢ / ٣٦ - ٣٧ .
- ٢٨- عدد / ١١ / ١٦ - ١٧ ، ٢٤ - ٢٩ .
- ٢٩- عدد / الأصحاح ٣٠ كله .
- ٣٠- لاويين / ١٢ / ١ - ٨ .
- ٣١- صموئيل الأول / ١٩ / ٢٤ .
- ٣٢- انظر مثلاً صموئيل الأول / ١٠ / ٥ - ١١ ، و ١٩ / ٢٠ - ٤٢ .
- ٣٣- انظر عباس محمود العقاد / مطلع النور (ضمن « موسوعة العقاد الإسلامية » / ١ / ٨٢١) .
- ٣٤- انظر مثلاً عدد / ١١ / ٢٤ - ٢٩ ، وثنية / ١٣ / ١ - ٥ ، و ١٧ / ٢٠ - ٢٢ ، وأرميا / ٥ / ٣١ ، و ٦ / ١٣ ، و ١٤ / ١٤ - ١٥ ، و ٢٣ / ١١ - ٤٠ ، وحزقيال / ٢٢ / ٢٥ ، ٢٨ ، وانظر كذلك رؤيا يوحنا اللاهوتي / ١٦ / ١٣ ، و ٢٠ / ١٠ .

٧- كلام عيسى فى المهّد

كذلك كان ما ذكره القرآن من كلام عيسى فى المهّد مشاراً لاعتراض النصارى . وملخص كلامهم أنهم ، رغم تمجيدهم له عليه السلام ، لا يعرفون له تلك المعجزة ، وكذلك لا يعرفها اليهود ولا المجوس ولا الصابئة ولا الهنود ولا الترك ولا الخزر ، ولم تسجّل فى الإنجيل رغم أن الكلام فى المهّد أعجب من كل عجب ، إذ هو أمر ينفرد به عيسى دون سائر الأنبياء والمرسلين ، فضلاً عن أن الخداع فيه غير ممكن ، فالطفل الرضيع لا يستطيع حيلة ولا تمويهها (١) .

وقد رد الجاحظ ، رحمه الله ، بأن اليهود لا يقرون لعيسى بأية معجزة (٢) ، بل يرون أنه كان صاحب رقى وشعوذة وحيل وأنه كانت عنده معرفة بالطب والكتب ، وأن ما يروى عن شفائه المقعدين إنما كان باتفاق سابق بينه وبين بعض من الناس تظاهروا بأنهم مرضى فشفاهم . أما بالنسبة لمن قيل إنه أحياء بعد موته فلم يكن فى زعمهم ميتاً ، بل كان الأمر مجرد إغماء ، فانتهز عيسى الفرصة وأوهم الناس أنه كان ميتاً وبأنه أعاد إليه الحياة . وبالمثل فالمجوس لا تقر لعيسى بأية معجزة . أما الهند والخزر والترك فإنهم لا يعترفون لنسبى بأية معجزة بل لا يروون سيرة أى منهم ، فلماذا الاستشهاد بهم فى

مسألة كلام عيسى فى المهّد بالذات ؟

ويبقى النصارى . وردّ الجاحظ هنا هو أنهم إنما قبلوا دينهم عن يوحنا ومتى (من الحواريين فى زعمهم) ومارقس ولوقا (من التابعين) ، وهؤلاء الأربعة لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسيان ولا تعمد الكذب ولا التواطؤ على اقتساء الرناسة . وإن اختلاف أناجيلهم وتناقضها مع بعضها البعض لدليل على ذلك (٣) .

وصحيح تماما ما يقوله الجاحظ عن اختلاف الاناجيل وتناقضاتها بل وأخطانها أيضا . ويكفى أن تقول هذه الكتب إن عيسى هو الله أو ابن الله حتى تنتفى عنها الثقة ، إذ إن هذا بطبيعته ضلال بل كفر صريح . ثم إنه من الغريب المضحك أن يقال مثلاً إن هذا الإله (أو ابن الإله) قد تعمد على يد أحد من عباده ، وهو يحيى عليه السلام (٤) ، أو إن الشيطان قد قاده إلى جناح الهيكل فى القدس ثم إلى إحدى قمم الجبال ليختبره وبعد ذلك أمره بالسجود له . فأى إله ذلك الذى يحتاج إلى التعمد أصلاً ، فضلاً عن أن يتم التعمد على يد أحد من مخلوقاته ؟ وأى إله ذلك الذى يقوده إبليس فينقاد له ؟ وكيف يطمع إبليس فى ربه إلى هذا الحد المخزى ؟ والطريف أن عيسى (وهو إله فى زعمهم) يرد على الشيطان حين يأمره بالسجود له

قائلا : « مكتوبٌ : للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » (٥) ، أى أن عيسى يعترف بأنه مجرد عبد وأن عليه أن يسجد لربه . فكيف يكون إلهًا ويكون له فى نفس الوقت إله ؟ وبالمناسبة فتعميد يحيى لعيسى واختبار إبليس له ليسا مذكورين فى إنجيل يوحنا ، على عكس الأناجيل الثلاثة الأخرى .

كذلك فبين سلسلتى النسب اللتين أوردهما متى ولوقا للمسيح ابن مريم عليه السلام اختلاف شديد حسبما أشرنا من قبل . ويمكن للقارىء الرجوع إليهما بنفسه ليرى كثرة الاختلافات والتناقضات التى بينهما . وحسبنا أن نقول هنا مرة أخرى إن كلتا السلسلتين تنسبه إلى يوسف النجار . بل إن أمه هى أيضا تقول له إن يوسف أبوه . وقد مرّ هذا أنفا .

وعيسى عليه السلام ، حسبما جاء فى الأناجيل ، يقول مؤكداً : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل . فمن نقض إحدى الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السماوات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت

السموات « (٦) . وعقيب ذلك ينطلق هو نفسه مادما ما جاء ، فى
الناموس . مثال ذلك أن الطلاق كان مشروعاً قبله عليه السلام فجاء
هو وحرّمه إلا لعلّة الزنى ، بل جعل الزواج من المرأة المطلقة لونا من
ألوان الزنى . كما أن الحلف بالله كان جائزاً قبلاً ، ثم أتى هو فحرّمه .
كذلك حرّم القصاص ، بل نهى عن مقاومة الشرّ البتة (٧) . ولم يكتف
بذلك بل جعل ما يأمر به تلاميذه أو ينهون عنه شرعاً إلهياً
واجباً (٨) . ومعروف ما فعله بولس بعد ذلك من تحليل الميتة
والخنزير وإلغاء الختان . وهذا كله نقض للناموس .

وهو ، حسبما جاء ، فى الأناجيل الحالية ، يقول لبطرس :
« أنت بطرس وعلى هذه الصخرة (يقصد بالصخرة هنا بطرس) أبني
كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفتاح ملكوت
السموات . فكل ما تربطه فى الأرض يكون مربوطاً فى السموات وكل
ما تحله على الأرض يكون محلولاً فى السموات » (٩) ، ثم يستدير
٣٦٠ درجة قائلاً لبطرس هذا نفسه بعد ثلاثة أسطر : « اذهب
عنى يا شيطان ، أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما
للناس » (١٠) ، وذلك حين انتهره هذا التلميذ . فأى إله ذلك الذى
يغير رأيه هكذا وشيكا ؟ وأغرب من ذلك أن بطرس عندما انتهره كان

يناديه بـ « يا رب » . فكيف ينتهر إنسان ربه ؟

وهو عليه السلام يقول فى موضع من الأناجيل : « لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا . ومن سخّرك ميلا فاذهب معه اثنين ... أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم » (١١) ، ثم نسمعه فى موضع آخر يقول : « جنت لآلقتى نارا على الأرض . فماذا أريد لو اضطرمت ... أتظنون أنى جنت لأعطى سلاما على الأرض . كلا أقول لكم . بل انقساما » (١٢) .

كمال قال عن نفسه إنه لم يأت إلى العالم ليدين الناس : « لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم » (١٣) . وبعد قليل نجد عكس ذلك ، إذ يعود فيقول إن « الأب لا يدين أحداً بل أعطى كل الدينونة للابن ... وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا لأنه ابن الإنسان ... كما أسمع أدين ودينوتتى عادلة » (١٤) .

وهو يؤكد أن شهادته لنفسه ليست حقا (١٥) ، لكنه لما حاكمه الفريسيون إلى كلامه هذا عن نفسه قائلين له : « أنت تشهد لنفسك . شهادتك ليست حقا » نقض ما كان قد قاله وأكد لهم أن شهادته لنفسه حق (١٦) .

وحتى فى قصة الصلب ، والصلب أساس المسيحية . نجد
عجبا : فالإنجيل الثلاثة الأولى تقول إن رجلاً قيروانيا اسمه سمعان هو
الذى حمل الصليب الذى قُتل عليه المسيح (١٧) ، على حين يذكر
إنجيل يوحنا أنه هو الذى حمل صليبه بنفسه (١٨) .

ومرة يقال لنا إن اللصين اللذين صُلبا معه كانا يعيرانه
ويستهزنان به كلاهما لأنه رغم ادعائه أنه ابن الله قد عجز عن تخليص
نفسه من الصلب (١٩) ، ومرة أخرى يقال إن أحد اللصين فقط
هو الذى غيرده ، أما الآخر فكان متعاطفا معه واتتهر زميله
بشدة ، ثم ابتهل إلى عيسى قائلاً : « اذكرنى يا رب متى جنت فى
ملكوتك » . فيعده عيسى بأنه سيكون معه فى الفردوس فى نفس
ذلك اليوم الذى وقع فيه الصلب على زعمهم (٢٠) . أما يوحنا فلم
يقبل فى هذا الأمر شيئا فأراح واستراح .

وحتى الكلمات التى يُدعى أنه قد نطق بها وهو يسلم الروح
نجد الأنجيل مختلفة فيها اختلافاً عنيفاً : فهى عند متى
ومرقس : « إلهى إلهى لماذا تركتني » (٢١) ، وفى إنجيل لوقا :
« يا أبته فى يديك أستودع روحى » (٢٢) ، وفى يوحنا : « قد
أكمل » (٢٣) . ثم أليس عجيباً أن هذا الإله الذى نزل من عليانه

لِيُصَلَّبَ تكفيراً عن ذنوب البشرية التي ورثتها عن أبيها آدم ، كما يقولون ، يأتي في آخر لحظة فيضعف كل هذا الضعف ويدعو (يدعو من ؟ يدعو إليه !) أن يهب لنجدته ، ويستغرب في ألم لأنه تركه ولم يبادر إلى إنقاذه ؟

أما الضابط الذي كان يشرف على عملية الصلب ففي بعض الأناجيل أنه قال بعد أن شاهد بعض المعجزات التي وقعت آنذاك : « حقا كان هذا (الإنسان) ابن الله » (٢٤) ، وفي بعضها الآخر : « في الحقيقة كان هذا الإنسان باراً » (٢٥) . وفي إنجيل يوحنا لا يوجد شيء ، من ذلك البتة .

وبينما يذكر الإنجيلان الأولان أن بيلاطس قبل أن يسلم عيسى للصلب قد قام بجلده (٢٦) نجد الإنجيلين الآخرين لا يقولان شيئاً عن عملية الجلد تلك .

فهذه هي الأناجيل التي يجعلونها مقياساً للقرآن ويخطئونه لأنه ذكر شيئاً لم يرد فيها . وأحب أن أنبه القارىء ، إلى أن ما ذكرته من الاختلافات والتناقضات بين الأناجيل إنما هو غيظ من فيض . وقد أفاض المعنيون بدراسة الكتاب المقدس من غربيين وشرقيين ونصارى ومسلمين في رصد هذه الأخطاء وذكرها ، فليرجع القارىء ،

إليهم إذا أراد .

وعلينا ألا ننسى أن الأناجيل الأربعة الموثوق بها عندهم قد كتبت بعد رفع عيسى عليه السلام بعشرات السنين ومن الذاكرة ، أى بعد أن كانت قد نُسيت أشياء، وزيدت أشياء، واقتحمت الوثنية العقائد والتشريعات النصرانية . وكلامه فى المهد معجزة قد وقعت قبل أن يصير نبيا ويصبح مهما فى نظر الناس بزمن طويل بحيث يهتمون بما يقول أو يفعل ويحفظونه ، وكان ذلك أمام قوم أمه ولم يكن أمام الناس جميعا . فأغلب الظن أن ذلك هو السبب فى أن هذه المعجزة لم تشع شيوع معجزاته الأخرى . بل إنه كانت فى بعض الأناجيل التى تعتمد على الكنيسة أشياء، كُذفت منها ، فضلا عن ضياع معظم رسائل بولس (٢٧) .

ثم إن الأناجيل التى كتبت عن سيرة المسيح كانت بالعشرات ، وعدم ذكر الأناجيل الأربعة لكلامه فى المهد لا يدل بالضرورة على أنه لم يقع . ويقول جماعة من اللاهوتيين النصارى إن الأناجيل الأربعة « لا تتضمن تاريخا كاملا عن أعمال ربنا المجيد وتعاليمه بل ذكر شخصه ووظيفته وتأسيس النظام المسيحى ، الذى هو موضوعه الأعظم ، على أسلوب مختصر » (٢٨) . وفى إنجيل الصبا (أو الطفولة) ، الذى

كُتِبَ فِي عَصْرِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّهُ كَانَ يَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ
الطَّيْرِ (٢٩) ، مَعَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ فِي الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةَ الْمُعْتَمَدَةَ عِنْدَ
الْكَنِيسَةِ . كَمَا ذَكَرَ لَهُ إِنْجِيلُ بَرْنَابَا مُعْجَزَاتٍ أُخْرَى لَمْ تَرُدْ فِي الْأَنْجِيلِ
الْأَرْبَعَةَ ، مِثْلَ صِرَاحِ حِجَارَةِ أُورُشَلِيمَ تَبَارَكَهُ وَمُعْجَزَةِ الْمَرَاةِ (٣٠) .
وَفِي هَذَا الْإِنْجِيلِ أَيْضًا أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ ، إِذْ جَاءَ فِيهِ أَنَّ
الطِّفْلَ الرُّضِيعَ قَدْ حَدَّثَ الْمَجُوسَ الَّذِينَ أَتَوْا مِنْ بِلَادِهِمْ إِلَى الْمَنْزِلِ الَّذِي
وُلِدَ فِيهِ ، مُحْذِرًا إِيَّاهُمْ أَنْ يَمْرُوا فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِمْ بِبَهِيرُودَسَ ، حَتَّى لَا
يَعْرِفَ مِنْهُمْ -مَكَانَ وَجُودِهِ فَيَقْتُلَهُ (٣١) . وَمِنْ الصَّعْبِ الْإِدْعَاءُ بِأَنَّ أَحَدَ
مَنْ يَرِيدُونَ الدَّعَايَةَ لِلْإِسْلَامِ هُوَ الَّذِي كَتَبَ هَذَا فِي الْإِنْجِيلِ الْمَذْكُورِ ، إِذْ
إِنَّ الْكَلَامَ الَّذِي وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى لِسَانِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ لَا يَزَالُ
رُضِيعًا يَخْتَلِفُ عَنِ هَذَا ، كَمَا أَنَّ الْمَوْقِفَ غَيْرَ الْمَوْقِفِ ، فَقَدْ وَقَعَ كَلَامُهُ
فِي الْقُرْآنِ عِنْدَمَا أَشَارَتْ أُمُّهُ إِلَيْهِ رَدًّا عَلَى اتِّهَامِهِمْ إِيَّاهَا بِالزُّنَى ،
وَكَانَ عَلَى النَّحْوِ التَّالِيِ : « إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ، آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ
حَيًّا * وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَمَا جَعَلَنِي جَبَارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ
وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا » (٣٢) . فَهَذِهِ التَّفْصِيلَاتُ مُخْتَلِفَةٌ عَمَّا
وَرَدَ فِي بَرْنَابَا رَغْمَ اتِّفَاقِ الْكُتَابَيْنِ عَلَى كَلَامِهِ فِي الْمَهْدِ . وَمِثْلَ ذَلِكَ

يقال فيما رواد إنجيل الطفولة عن كلامه وهو طفل رضيع ، إذ إن ما قاله آنذاك حسب ذلك الإنجيل هو أنه ابن الله (٣٣) .

وقد سمع النجاشى وبطارقته صدر سورة « مريم » وفيه كلامه عليه السلام فى المهد جوابًا على إشارة أمه إليه عندما اتهمت بأنها ولدته من سفاح ، ولم ينكر أحد منهم ذلك ، بل أقرّ النجاشى بأن ما يقوله القرآن عن عيسى عليه السلام هو نفس ما يؤمنون به (٣٤) .

وقد كان كبار رجال الدين النصارى النجرانيين الذين وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة يؤمنون بمعجزة كلام عيسى عليه السلام فى المهد ، بل إنهم اتخذوها حجة على أنه ابن الله (٣٥) .

وكذلك أقرّ الأنبا شنودة (البابا شنودة حاليا) بما جاء فى القرآن عن كلامه عليه السلام فى المهد ، مؤكداً أنه معجزة لم تحدث لأحد من قبله ولا من بعده (٣٦) .

ويستنكر القرافى ، رحمه الله ، اعتراض المعترضين من النصارى على ما ذكر القرآن من كلام عيسى فى المهد مؤكداً أن من الغريب أن يكون إليها (فى زعمهم) قادرًا على كل شىء ، ومع هذا يترك أمه نهبًا لتهمة الزنى دون أن يبادر إلى تبرئتها . إن هذا منتهى العقوق (٣٧) . وينبغى أن نضيف هنا أنه لو لم تحدث مثل هذه

المعجزة لرحمت مريم تبعا لشريعة موسى ، إذ ما من دليل على الزنى
أوضح من الحمل ، ففي الإنجيل أنهم أتوا إلى عيسى بامرأة زانية
لينفذ فيها حكم الرجم على ما تقضى به شريعة التوراة (٣٨) .

النوامش

- ١- انظر « رسائل الجاحظ » ٢ / ٣٠٦ - ٣٠٨ .
- ٢- ونضيف أنهم لم يكونوا يرون أنه نبي ، فضلاً عن أن يكون إلهاً أو ابن إله .
- ٣- رسائل الجاحظ / ٢ / ٣٢٤ - ٣٢٩ .
- ٤- متي / ٣ / ١٣ - ١٦ ، ومرقس / ١ / ١ ، ولوقا / ٣ / ٢١ .
- ٥- متي / ٤ / ١ - ١٠ ، ومرقس / ١ / ١٢ - ١٣ ، ولوقا / ٤ / ١ -
- ٦- متي / ٥ / ١٧ - ٢٠ .
- ٧- متي / ٥ / ٣١ - ٤٢ ، ومرقس / ١٠ / ٢ - ١٢ .
- ٨- متي / ١٦ / ١٩ ، و١٨ / ١٨ / ١٩ .
- ٩- متي / ١٦ / ١٨ - ١٩ .
- ١٠- متي / ١٦ / ٢٣ .
- ١١- متي / ٥ / ٣٩ - ٤٤ ، ونوقا / ٦ / ٢٧ - ٣١ .
- ١٢- لوقا / ١٢ / ٤٩ - ٥١ .
- ١٣- يوحنا / ٣ / ١٧ .
- ١٤- يوحنا / ٥ / ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٠ .
- ١٥- يوحنا / ٥ / ٣١ .
- ١٦- يوحنا / ٨ / ١٣ - ١٤ ، ١٨ .
- ١٧- متي / ٢٧ / ٣٢ ، ومرقس / ١٥ / ٢١ ، ولوقا / ٢٣ / ٢٦ .
- ١٨- يوحنا / ١٩ / ١٧ .
- ١٩- متي / ٢٧ / ٤٣ ، ومرقس / ١٥ / ٢٢ .

- ٢٠- لوقا / ٢٣ / ٢٩ - ٤٠ .
- ٢١- متى / ٢٧ / ٤٦ ، ومرقس / ١٥ / ٢٥ .
- ٢٢- لوقا / ٢٣ / ٤٦ .
- ٢٣- يوحنا / ١٩ / ٣٠ .
- ٢٤- متى / ٢٧ / ٥٤ ، ومرقس / ١٥ / ٢٩ .
- ٢٥- لوقا / ٢٣ / ٤٧ .
- ٢٦- متى / ٢٧ / ٢٥ ، ومرقس / ١٥ / ١٥ .
- ٢٧- انظر مثلاً وئ ديورانت / قصة الحضارة / ترجمة محمد بدران / ١١ / ٢٦٢ ، و ١٤ / ٢٢٠ (بالهامش) ، ومحمد جلال كشك ، حواطر مسلم عن الجهاد والأزجيل والأقليات / ١٥٠ - ١٥٤ .
- ٢٨- كتاب « رب المجد » لجماعة من اللاهوتيين المسيحيين / ٢٢٦ - ٢٢٧ .
- ٢٩- نظر تفسير المنار / ٣ / ٣١١ .
- ٣٠- إنجيل برنابا / ترجمة د. خليل سعادة / ٢٩٢ - ٢٩٣ .
- ٣١- إنجيل برنابا / ٩ .
- ٣٢- مريم / ٢٧ - ٢٣ .
- ٣٣- إنجيل الطفولة / الأصحاح ١ / ٢ - ٣ (محمد عزت الطهطاوى / محمد صلى الله عليه وسلم نبي الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن / ١١٠ - ١١١) .
- ٣٤- انظر سيرة ابن هشام / ١ / ٣٣٥ - ٣٣٧ .
- ٣٥- المرجع السابق / ١ / ٥٧٥ .
- ٣٦- انظر مقال « القرآن والمسيحية » للأنبا شنودة / مجلة « الهلال » المصرية / ديسمبر ١٩٧٠م / ٢٥ .

- ٣٧- انظر القرانئ / الأجوئة الفاخرة عن الأسنلة الفاجرة / تحقيق د . بكر
زكى عوض / ٣٤٧ - ٣٤٨ .
- ٣٨- يوحنا / ٨ / ١ وما بعدها .

٨ - هل النصارى أقرب مودة من غيرهم للمسلمين ؟

وقد تطرق الجاحظ ، فى أثناء مناقشة شبهات النصارى التى عرض لها ورده عليها فى رسالته ، إلى موقف عوام المسلمين منهم ، والسبب الذى صاروا به أحب إليهم من المجوس ، وأسلمه صدوراً عندهم من اليهود وأقرب مودة وأقل غائلة وأصغر كفراً وأهون عذاباً ، وكيف يغلط كثير من المسلمين فى تأويل قوله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا، آمنا ، فاكتبنا مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ؟ * فأشابههم الله بما قالوا جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين » (١) .

وقد علّق الجاحظ على ذلك بقوله : « وفى نفس الآية أعظم دليل على أن الله تعالى لم يعن هؤلاء النصارى ولا أشباههم الملكانية واليعقوبية ، وإنما عنى ضرب (أى مثل) بحيرا وضرب الرهبان الذين كانوا يخدمهم سلمان (٢) . وبين حمل قوله : « الذين قالوا: إنا نصارى »

على الغلط منهم (أى على الغلط من عوام المسلمين) فى الأسماء
وبين أن نجزم عليهم لأنهم نصارى : فرق « (٣) .

وهذه من المسائل التى تحتاج إلى توضيح وتفصيل أكثر من
ذلك . ولا بد فيها من الرجوع إلى ما قاله القرآن فى المواضع المختلفة
منه فى النصارى وعقائدهم ، وعدم الاقتصار على هذه الآية التى
أثارت عند عوام المسلمين هذا الإشكال ، وبخاصة أن كثيرا من
النصارى من مستشرقين وعرب حينما يكتبون عن رأى القرآن فيهم
وفى دينهم يستشهدون بهذه الآية الكريمة دليلاً على رضا الإسلام عنهم
ورأيه الطيب فيهم والمصير السعيد الذى ينتظرهم هم وقساوستهم
ورهبانهم . وإلى القارىء خلاصة ما يخرج به الباحث فى القرآن عن وجه
الحق فى هذه القضية :

لقد وصف القرآن الكريم فى عدد من المواضع انحرافات
النصارى ، ومنها عقيدتهم فى « التثليث » ، وجعلها كُفْرًا من
الكُفْر ، وحكم على الذين يقولون بها بأنهم كُفَّار مشركون . قال تعالى :
« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم . وقال المسيح : يا
بنى إسرائيل ، اعبدوا الله ربى وربكم . إنه من يُشْرِكْ بالله فقد حرم
الله عليه الجنة وماواه النار . وما للظالمين من أنصار * لقد كفر

الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة . وما من إله إلا إله واحد . وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم « (٤) . وهو يؤكد أن عيسى لم يكن إلا عبدا لله ورسولا اختاره ليبلغ رسالته إلى بنى إسرائيل ، ويصمّ الذين يدعون خلاف ذلك بالكذب والإفساد ، ويدعو إلى لعنهم : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كُنْ ، فيكون * الحقّ من ربك فلا تكُنّ من الممّترين * فمنّ حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل : تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهلّ فنجعل لعنة الله على الكاذبين * إن هذا لهو القصص الحقّ . وما من إله إلا الله . وإن الله لهو العزيز الحكيم * فإن تولّوا فإن الله عليم بالمفسدين « (٥) .

وقد تكرر قرنته بينهم وبين اليهود ، مما يدلّ على أن هناك أوجه تشابه بين الفريقين . قال عز وجل : « وقالت اليهود : عزير ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهنون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله ! أنى يؤفكون ؟ * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم . وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو . سبحانه عما يشركون *

يريدون أن يظفنون نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يُتَمَّ نوره ولو كره الكافرون » (٦) . وقال أيضا : « وقالوا : لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى . تلك أمانيتهم . قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » (٧) . وقال سبحانه : « وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه . قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق . يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما ، وإليه المصير » (٨) . وقال تعالى : « وقالوا : كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا . قل : بل ملة إبراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين » (٩) .

وهذا الاقتران بينهما فى القرآن غير مقصور على الكلام عن عقائدهم المنحرفة بل يشمل أيضا مشاعر الكراهية والحقد التى يكونونها للمسلمين ورغبتهم فى أن يختلوهم عن دينهم الحق ويجروهم معهم فيما هم فيه من كفر وضلال : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبّع ملتهم . قل : إن هدى الله هو الهدى . ولن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من لستى ولا نصير » (١٠) . « وذا كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم

الحق . فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره . إن الله على كل شيء قدير « (١١) .

كذلك فإن رأى القرآن فى معظم رجال الدين من اليهود والنصارى أنهم يصدون عن سبيل الله ويأكلون أموال أتباعهم بالباطل : « يا أيها الذين آمنوا ، إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله . والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعباب أليم » (١٢) . وهو يتوعدهم بعباب أليم فى نار جهنم يحرق أبدانهم ويكويها : « يوم يُحْمَى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم : هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون » (١٣) . وقد رأينا كيف أن أتباعهم قد اتخذوهم أربابا من دون الله . وبطبيعة الحال فقد باركوا هذا ودفعوا إليه واستزادوا منه ، وإلا لكف أتباعهم عنه ولكان القرآن حينئذ قد برأهم من جريمة هؤلاء الأتباع وكفرهم .

مما تقدم يتبين لنا رأى القرآن السئى ، فى النصارى وعقائدهم وبغضهم للإسلام والمسلمين وكذلك فى رجال دينهم . وهم فى ذلك مثل اليهود وأجبارهم ، فلماذا قال القرآن فيهم إذن : « لتجدن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . ولتجدن أقربهم مودةً للذين

آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى . ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا ، آمنا ، فاكتبنا مع الشاهدين * ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ؟ * فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين « ، مما قد يفهم منه أنه يفرق بينهم وبين اليهود فى مسألة المشاعر تجاه المؤمنين وفى مسألة المصير الذى ينتظرهم ؟ هل يعقل أن يكون للقرآن آريان فى النصارى متناقضان هذا التناقض ، إذ يصممهم بالكفر والشرك والكذب والإفساد والفسوق فى مواضع منه ويتوعددهم بما يتوعد به كل كافر كذاب ، ثم يأتى فى هذه الآيات الأخيرة فيذكركم بأنهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا ويتحدث عن رقة قلوبهم ومسارعتهم إلى الإيمان برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ويبشرهم بما أثابهم الله به من الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار والخلود فيها جزاء لهم على إيمانهم وإحسانهم ؟

لقد وجدت عددا من الكتاب فى بعض البلاد العربية يذكر النصارى بخير ويشنى عليهم ويمدحهم مستشهدا بهذه الآيات ، فكنتُ

أتعجب من ذلك وأستغربه أشد الاستغراب ، وأحاول أن أبين أن الأمر ليس كما يظنون . ولكن فريقا من الذين كنتُ أحاورهم كانوا لا يقتنعون تماما بما أقول .

وقد كان منطلقي هو أن القرآن لا يمكن أن يتناقض بعضه مع بعض . فإذا كان يكفر النصارى ويتوعددهم بالعذاب الأليم ويدعوهم إلى التوبة مما هم عليه فلا يُعقل أن يرجع فيقول فيهم عكس ذلك مع بقائهم على ما هم عليه وعدم توبتهم منه . وتوبتهم لن تكون بطبيعة الحال إلا بالتصديق برسالة محمد عليه الصلاة والسلام والتحول إلى الإسلام .

وكنْتُ أضيف أن عداوة النصارى للإسلام طوال هذه القرون الأربعة عشر هي عداوة لدود ، وأن المسلمين لم يروا منهم رحمةً ولا عدلا أو إنصافا ، وأن مؤامراتهم علينا لم تنته ، وأنه قد اتضح لكل إنسان الآن ما يخططون له لفتنتنا عن ديننا وإدخالنا في دينهم ، وكأنه لم يكفهم ما أنزلوه بنا من ويلات وتقتيل وتنكيل واستنزاف ثروات أيام أن كان استعمارهم لبلادنا استعمارًا ظاهرًا ، ولا مازالوا يُنزلونه بنا من هذا كله وغيره في هذه الأيام السود التي اتخذت سيطرتهم علينا أساليب أخفى وأدهى ، وأن رجال دينهم من قساوسة وراهبان كانوا ومازالوا هم

الذين يحرضونهم ويقودونهم ويمنونهم أثناء هذا العدوان الشرس الذي
نصطلى ناره منذ قرون . وكنتُ أذكرُ بالحروب الصليبية التي سحر ناراها
هؤلاء ، القساوسة والرهبان ، والفضاعة البشعة التي عامل النصارى بها
أجدادنا فى الأندلس ، والغدر والخيانة اللذَّين توسلوا بهما إلى خنق
الأنفاس الأخيرة للمسلمين هناك حتى أصبحت البلاد كاثوليكية مثلثة
بعد أن كانت توحد بالله وتؤمن بمحمد عليه السلام وبالقرآن الذى جاء
به من عند ربه ، وانتزاع فلسطين من أيدينا وإعطائها غنيمة باردة
 لليهود ، والقسوة المتوحشة التى تصب على الأقليات (وأحيانا
الأكثريات) المسلمة فى البلاد التى يحكمها النصارى ، والسخائم
السوداء التى تلتطخ ما يكتبه معظم المستشرقين وكل المبشرين عن
محمد عليه الصلاة والسلام ودينه الحق . ثم ها نحن أولاء ، قد رأينا
بأم أعيننا ما فعله الغرب (الغرب كله ، لا الصرب وحدهم كما
تحاول وسائل الإعلام أن تقنعنا) بإخواننا المسلمين فى يوغسلافيا
السابقة ، كراهية منهم أن يسمعوا فى أوروبا كلمة التوحيد .

ثم كنت أقول إنه لا شىء فى هذه الآيات الكريمة يمكن أن
يصدق على النصارى : فلا هم ينظرون لنا على أية مودة ، ولا هم
يظهرون نحونا تواضعا إذا كان فى يدهم القوة والسلطان ، ولا أعينهم

تفيض من الدمع عند سماعهم القرآن الكريم ، ولا هم يعترفون بالحق
ويعلنون الإيمان بمحمد ودينه . كذلك فإن الآيات تعلل ما ذكرته من
مودتهم للمسلمين بأن منهم قسيسين و رهبانا ، فمتى كان القسيسون
والرهبان يبيّنون لأتباعهم أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي
رسالة الحق وأنهم ينبغي أن يؤمنوا بها ، ثم لا يكتفون بهذا بل
يسارعون إلى أن يكونوا هم أول المؤمنين ؟

وأخيرا كيف يمكن أن يقول القرآن عن النصارى إنهم أقرب لنا
مودة وهو ينهانا نهيا حاسما في نفس السورة (الآية / ٥١) عن
موالاتهم بأية حال ؟ إذن ما وجه الحق في هذه الآيات ؟ الحقيقة أنها
قد نزلت في فريق مخصوص من النصارى وفدوا على المدينة وقرأ عليهم
النبي صلى الله عليه وسلم بعض آيات القرآن فلمست قلوبهم وتفتحت
لها عقولهم وهزتهم من أعماقهم ففاض من عيونهم الدمع رقة وحنانا
وتواضعا وإخباتا ، وسرعان ما أعلنوا إسلامهم (١٤) . إذن فالكلام
في الآيات هو عن نصارى بأعيانهم وليس عن كل النصارى . وقوله
سبحانه : « الذين قالوا : إنا نصارى » ليس على إطلاقه فيشمل
جنس النصارى كله ، ولكنه للعهد ، أى أن المقصود به طائفة معينة
يعرفها المخاطب بالكلام .

وقد كان فى هذا الوفد عدد من القساوسة والرهبان فأشار القرآن الكريم إليهم بقوله : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا » . على أن إشارة القرآن فى نظرى ليست لمجرد الإخبار ، وإلا لما كان ثمة داع إليها ، إذ ماذا يفيد أن نقول إنه كان فى هذا الوفد قسيسون ورهبان ، إذا كان وجودهم فيه لا يقدم ولا يؤخر ؟ إن معنى « القسيس » هو العالم عندهم ، أما « الراهب » فهو العابد الذى يخاف ربه ويرهب مقامه سبحانه ويخشى عذابه . ويبدو أن المقصود بقوله عز وجل : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا » أنه كان فيهم قساوسة ورهبان حقيقيون . وذلك مثلما يقول الواحد منا : « إن فلانا رجل » ، وهو لا يريد أن يشير إلى جنسه وأنه رجل لا امرأة ، وإنما قصده أنه رجل بكل معانى الكلمة من المروءة والوفاء وإمكان الاعتماد عليه فى وقت الشدة والجهر بكلمة الحق ... إلخ . فكونهم قسيسين ورهبانا بحق ، أى عالمين مخلصين للحقيقة يجهرون بها دونما مواربة أو خوف أو مراعاة للمصالح والأطماع الذاتية ، وخائفين متقين لربهم يرجون رحمته ويخشون عذابه ، هو الذى جعلهم يخشعون لما سمعوه من القرآن ولا يتأبون على ما فيه من دعوة الحق بل يسارعون إلى التصديق به وإعلان إيمانهم أمام الملأ ، مما كان له تأثير على سائر أعضاء

الوفد فأعلنوا إيمانهم معه .

يقول سيد قطب ، رحمه الله ، فى هذا الصدد : « إذا كان الواقع التاريخى قد حفظ لليهود وقتهم النكدة للإسلام منذ اليوم الأول الذى دخل فيه المسلمون عليهم المدينة فى صورة كيدٍ لم ينته ولم يكفَ حتى اللحظة الحاضرة ... فإن هذا الواقع قد حفظ كذلك للنصارى الصليبيين أنهم اتخذوا من الإسلام موقف العدا ، منذ وقعة اليرموك بين جيش المسلمين وجيوش الروم ، فيما عدا الحالات التى وقع فيها ما تصفه الآيات التى نحن بصدها فاستجابت قلوبُ للإسلام ودخلت فيه ، وفيما عدا حالات أخرى آثرت فيها طوائف من النصارى أن تحتذى بعدل الإسلام من ظلم طوائف أخرى من النصارى كانوا يلاقون من ظلمها الويال . أما التيار العام الذى يمثل موقف النصارى جملة فهو تلك الحروب الصليبية التى لم يحبَّ أوراها إلا فى الظاهر منذ التقى الإسلام والرومان على ضفاف اليرموك ... ولقد ظلت الصهيونية العالمية والصليبية العالمية حليفيتين فى حرب الإسلام على كل ما بينهما من أحقاد ، ولكنهم كانوا فى حربهم للإسلام كما قال عنهم العليم الخبير : « بعضهم أولياء ، بعض » حتى مزقوا دولة الخلافة ، ثم مضوا ينقضون هذا الدين عروة عروة ...

وهذا ما ينبغي أن يعيه الواعون اليوم وغدا فلا ينساقوا وراء
حركات التمييع الخادعة أو المخدوعة ، التى تنظر إلى أوائل مثل هذا
النص القرآنى دون متابعة لبقيته ، ودون متابعة لسياق السورة كله ،
ودون متابعة لتقريرات القرآن عامة ، ودون متابعة للواقع التاريخى الذى
يصدق هذا كله ، ثم تتخذ من ذلك وسيلة لتخدير مشاعر المسلمين
تجاه المعسكرات التى تضرر لهم الحقد وتبيّت لهم الكيد ، الأمر الذى
تبذل فيه هذه المعسكرات جهدها وهى بصدد الضربة الأخيرة الموجهة إلى
جذور العقيدة « (١٥) .

الهوامش

- ١- المائة / ٨٢ - ٨٥ .
- ٢- يقصد الرهبان الذين اتصل بهم سلمان الفارسي في رحلة بحثه عن الحق والذين كانوا يخبرونه بقرب مبعث نبي من جهة بلاد العرب .
- ٣- رسائل الجاحظ / ٣ / ٣٠٨ - ٣١١ .
- ٤- المائة / ٧٢ - ٧٣ .
- ٥- آل عمران / ٥٩ - ٦٣ .
- ٦- التوبة / ٣٠ - ٣٢ .
- ٧- البقرة / ١١١ .
- ٨- المائة / ١٨ .
- ٩- البقرة / ١٣٥ .
- ١٠- البقرة / ١٢٠ .
- ١١- البقرة / ١٠٩ .
- ١٢- المائة / ٣٤ .
- ١٣- المائة / ٣٥ .
- ١٤- انظر في ذلك مثلاً ابن جرير الطبري / جامع البيان / ٥ / ٣ ، وابن كثير / تفسير ابن كثير / ٢ / ٨٦ ، والسيوطي / الدر المنثور / ٣ / ١٢٩ - ١٣٨ .
- ١٥- سيد قطب / في ظلال القرآن / ٢ / ٩٦٦ - ٩٦٧ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- إبراهيم خليل أحمد / إسرائيل والتلمود / مكتبة الوعي العربي / القاهرة /
١٩٨٣ م .
- إبراهيم سليمان الجبهان / معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير / ط
٥ / عانة نكتب / الرياض / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م .
- ابن تيمية / الجواب النصح لمن بدل دين المسيح / مطابع المجد التجارية .
- ابن حزم / رسائل ابن حزم الأندلسي / تحقيق د . إحسان عباس / ط ١ /
المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت / ١٩٨١ م .
- ابن حزم / الفصل في الملل والأهواء والنحل / تحقيق د . محمد إبراهيم نصر
ود . عبد الرحمن عميرة / ط ١ / مكتبات عكاظ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- ابن قتيبة / تأويل مختلف الحديث / تصحيح وضبط محمد زهري النجار / دار
الجيل / بيروت / ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٠ م .
- ابن قبة الجوزية / هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى / تعليق مصطفى
أبو النصر الشلبي / ط ١ / مكتبة السوادى / جدة / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ابن كثير / البداية والنهاية / ط ١ / مطبعة السعادة / ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .
- ابن كثير / تفسير ابن كثير / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٠ هـ .
- ابن هشام / سيرة ابن هشام / تحقيق السقا والابيارى وشلبي / ط ٢ /
مصطفى البابي الحلبي / ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .
- د . أحمد سوسة / مفضل العرب واليهود في التاريخ / ط ٥ / دار الرشيد /
بغداد / ١٩٨١ م .

- د. أحمد شلبي / اليهودية / ط ٤ / مكتبة النهضة المصرية . ١٩٧٤ م .
- برنابا / إنجيل برنابا / ترجمة د. خليل سعادة / مكتبة محمد علي صبيح /
القاهرة / ١٩٥٨ م .
- الجاحظ / رسائل الجاحظ / تحقيق عبد السلام هارون / ط ١ / مكتبة
الخانجي / ١٣٩٩ هـ - ١٩٨٩ م / ٣ / ١٣ .
- جماعة من اللاهوت المسيحيين / رب المجد / مركز المطبوعات المسيحية /
بيروت .
- رموف أبو سعدة / من إعجاز القرآن - العلم الأعجمي في القرآن مفسرا
بالقرآن / دار نهلال / القاهرة / ١٩٩٤ م .
- د. رموف شلبي / يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء . / ط ٢ / دار
الاعتصام / القاهرة / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- المقص زكريا إبراهيم / الله واحد في الثالوث المقدس / ط ٤ / مركز العيبة /
السويس .
- السموأل بن يحيى المغربي / إفحام اليهود / تحقيق د. محمد عبد الله
الشرفاوي / الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد /
الرياض / ١٤٠٧ هـ .
- سيد قطب / في ظلال القرآن / ط ١٠ / دار الشروق / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- السيوطي / الدر المنثور / ط ١ / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- العلامة شبير أحمد عثمانى / تفسير عثمانى (بالأوردية) / مجمع الملك فهد
لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة .
- الأنبا شنودة / مقال « القرآن والمسيحية » / مجلة « نهلال » المصرية /

ديسمبر ١٩٧٠ م .

د . صابر طعيمة / الأسفار المقدسة قبل الإسلام / ط ١ / عالم الكتب /
بيروت / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .

صابر طعيمة / اليهود بين الدين والتاريخ / ط ١ / مكتبة النهضة المصرية /
١٩٧٢ م .

صلاح العجموي / جوهر الإيمان في صحيح الأديان - أهل الكتاب / ط ١ /
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

الطبري / جامع البيان / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .
عباس محمود العقاد / موسوعة العقاد الإسلامية / ط ١ / دار الكتاب
العربي / بيروت / ١٩٧١ م .

القاضي عبد الجبار / تثبيت دلائل النبوة / تحقيق د . عبد الكريم عثمان /
دار العروبة / بيروت .

عبد الجليل شلبي / رد مفتريات على الإسلام / ط ١ / دار القلم / الكويت /
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

د . عبد الحلیم محمود / المنقذ من الضلال لحجة الإسلام الغزالي مع أبحاث في
التصوف ودراسات عن الإمام الغزالي / ط ٨ / دار الكتب الحديثة / ١٣٩٤ هـ -
١٩٧٤ م .

عبد الرزاق بن همام الصنعاني / تفسير القرآن / تحقيق د . مصطفى مسلم / ط
١ / مكتبة الرشد / الرياض / ١٤١٠ هـ .

أبو محمد عبد الله الترجمان الميورقي / تحفة الأريب في الرد على أهل
الصليب / دراسة وتحقيق وتعليق عمر وفيق الداعوق / ط ١ / دار البشائر الإسلامية /

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

- د . على عبد الرحمن وافى / الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام / دار نهضة مصر / القاهرة .
- د . فؤاد حسنين على / التوراة / القاهرة .
- فخر الدين الرازى / مناظرة فى الرد على النصارى / تحقيق د . عبد المجيد النجار / دار الغرب الإسلامى / بيروت / ١٩٨٦ م .
- نقراوى / الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة / تحقيق د . بكر زكى عوض / ط ٢ / مكتبة وهبة / ١٤٠٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- لكتاب المقدس / دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط .
- محمد جلال كشك / خواطر مسلم عن الجهاد والأنجيل والأقليات / ط ٢ / دار ثابت / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- محمد رشيد رضا / تفسير المنار / مكتبة القاهرة .
- د . محمد زغلول سلام / الأدب فى العصر المملوكى / دار المعارف / القاهرة / ١٩٧١ م .
- محمد عمرة دروزة / تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم / المكتبة العصرية / صيدا وبيروت / ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- محمد عزت الطهطاوى / محمد صلى الله عليه وسلم نبي الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن / ط ٢ / مكتبة النور / القاهرة .
- مناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله الهندى والدكتور القسيس فندر / تحقيق د . محمد عبد القادر خليل / ط ١ / دار ابن تيمية / الرياض / ١٤٠٥ هـ .
- الموسوعة العربية الميسرة / دار الشعب / القاهرة .

تحقيق د. محمد عبد الله الشرفاوى / دار الصحوة / القاهرة / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
ول ديورانت / قصة الحضارة / ترجمة محمد بدران / ط ٣ / لجنة التأليف

والترجمة والنشر / ١٩٨٣ م .

ياقوت الحموى / معجم الأديب / ط ٣ / دار الفكر / ١٤٠٠ هـ - ١١٨٠ م .

Abdullah Yusuf Ali , The Holy Quran , Dar Al-Arabia , Beirut .

Basil Cottle , The Penguin Dictionary of Surnames .

Collier's Encyclopaedia , 1973 .

E. J. Brill's First Encyclopaedia of Islam .

Encyclopaedia of Islam , New Edition .

James Hastings , Encyclopaedia of Religion and Ethics ,
Edinburgh , 1971 .

Ludwig Ullman , Der Koran - Das heilige Buch des Islam ,
Goldmann , München .

Muhammad Hamidullah , Le Saint Coran , Beyrouth , 1973 .

The Oxford English Dictionary .

S. A. A. Maududi , The Meaning of the Qur'an , translated by
Muhammad Akbar , 2nd edition , Islamic Publications Ltd. , Lahore ,
1978 .

Dr. Salah El-dine Kechrid , Al-Qur'an al-Karim , 5 eme edition ,
Dar el-Gharb el-Islami , 1990 .

Thomas Patrick Hughes , Dictionary of Islam , Premier Book
House , Lahore .

William Smith , Dictionary of the Bible , London , 1863 .

الفهرست

- ٥ - رسالة الرد على النصارى
- ١٦ - عبادة مريم
- ٢٦ - عذير
- ٤٥ - هامان
- ٨٨ - يحيى
- ٩٩ - نبوة النساء
- ١١٦ - كلام عيسى فى المهدي
- ١٣٠ - هل النصارى أقرب مودة من غيرهم للمسلمين ؟
- ١٤٣ - المراجع والمصادر